تحرِّي القول الْأَسَدّ في تفسير سورة الْمَسَد

د/السيد صابر أحمد ناصف
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
جامعة الأزهر

ملخص البحث

تحرِّي القول الْأَسَدّ في تفسير سورة المسد.

السيد صابر أحمد ناصف

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: alsayednasef.adv@azhar.edu.eg

الملخص

تناول البحث تفسير سورة المسد تفسيرا تحليليا؛ لإماطة اللثام عن مكنوناتها، واستخراج دُررها وكنوزها؛ رغبة في تدبر القرآن الكريم، ومساهمة في خدمة هذا الكتاب العزيز.

وقد تكوَّن البحث من مقدمة، ومبحثين: **المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة**، وفيه ثمانية مطالب: المطلب الأول: أسماء السورة. المطلب الثاني: نوع السورة. المطلب الثالث: عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها. المطلب الرابع: ترتيب السورة. المطلب الخامس: سبب نزول السورة. المطلب السادس: فضائل السورة. المطلب السابع: المناسبات المتعلقة بالسورة. المطلب الثامن: موضوعات السورة ومقاصدها. **وأما المبحث الثاني فبعنوان: الدراسة التحليلية للسورة الكريمة**، وتحت هذا المبحث خمسة مطالب: المطلب الأول: تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض. المطلب الثاني: ضياع كسب أبي لهب وأمره. المطلب الثالث: بيان العاقبة السيئة لأبي لهب. المطلب الرابع: ذم امرأة أبي لهب. المطلب الخامس: بيان المصير المهين لامرأة أبي لهب. وأخيرا أورد الباحث الخاتمة، مصحوبة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ذيَّل بحثه بفهرسين: أحدهما للمصادر والمراجع، والثاني للموضوعات.

أهم نتائج البحث:

(١) دفاع الله عن رسوله –صلى الله عليه وسلم–؛ ونصره له على أعدائه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) [غافر: ٥١].

(٢) أن حُسن الصورة وكثرة الأموال والأولاد لا تغني عن الإيمان والعمل الصالح؛ حيث لَمْ يُغْنِ عن أبي لهب جمال صورته ولا مالُه ولا ولده شيئا، مع كفره، وأعماله السيئة.

(٣) بيان خطورة الكلمة، وأنها تودي بصاحبها إلى الهاوية= كما حدث لأبي لهب.

(٤) لما أعانت امرأة أبي لهب زوجها على الكفر والإيذاء= نالت ما ناله من العذاب الشديد.

منهج البحث: المنهج التحليلي.

الكلمات المفتاحية: تحرّي، القول، الأسدّ، تفسير، سورة، المسد.

2-That a beautiful image and many wealth and children do not replace faith and righteous deeds; as the beauty of his image, wealth, and children did not benefit Abu Lahab at all, despite his disbelief and bad deeds.
3-Explaining the seriousness of the word, and that it leads its owner to the abyss = as happened to Abu Lahab.
4-When Abu Lahab's wife helped her husband in disbelief and harm = she received the severe punishment he received.
Research Methodology: Analytical Methodology.
Keywords: Investigation, Saying, Interpretation, Surah, Al-Masad.

Abstract of the research

Investigating the best statement in interpreting Surat Al-Masad.

Alsayed Saber Ahmed Nasef
Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Menoufia, Al-Azhar University, Egypt.
Email: alsayednasef.adv@azhar.edu.eg

Abstract

The research dealt with interpreting Surat Al-Masad with an analytical interpretation; to unveil its secrets, and extract its pearls and treasures; with the desire to contemplate the Holy Quran, and to contribute to serving this precious book.

The research consisted of an introduction and two sections: The first section: In front of the Noble Surah, and it contains eight demands: The first demand: The names of the Surah. The second demand: The type of Surah. The third demand: The number of verses of the Surah, its words and letters. The fourth demand: The arrangement of the Surah. The fifth demand: The reason for the revelation of the Surah. The sixth demand: The virtues of the Surah. The seventh demand: The occasions related to the Surah. The eighth demand: The topics and purposes of the Surah. The second section is titled: Analytical Study of the Noble Surah, and under this section there are five demands: The first demand: Threatening Abu Lahab for his rudeness and disregard. The second demand: The loss of Abu Lahab's earnings and his affair. The third demand: Clarifying the bad consequences for Abu Lahab. The fourth demand: Condemning Abu Lahab's wife. The fifth demand: Clarifying the humiliating fate of Abu Lahab's wife. Finally, the researcher presented the conclusion, accompanied by the most important results that the research reached, then he concluded his research with two indexes: one for sources and references, and the second for topics.

The most important results of the research:

1-God's defense of His Messenger - may God bless him and grant him peace -; And His victory over his enemies, in accordance with the Almighty's saying

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) [غافر: ٥١].

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فقد قال الله –تعالى–: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: ٨٢)، وقال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد: ٢٤)، وقال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (ص: ٢٩).

ومن الوسائل التي تعين على تدبر القرآن الكريم الوقوف مع مفرداته وتراكيبه وآياته بالتحليل، بعد استجماع الآلات والأدوات التي تمكن من ذلك؛ ولما كان الأمر بهذه المثابة، عكفت على تفسير سورة المسد تفسيرا تحليليا؛ لإماطة اللثام عن مكنوناتها، واستخراج دُررها وكنوزها؛ رغبة في تدبر القرآن الكريم، ومساهمة مني في خدمة هذا الكتاب العزيز، مع قصر باعي، وقلة اطلاعي، واعترافي بالعجز والتقصير.

إشكالية البحث:

يجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

ما المراد بالمسد؟ ولماذا سُمّيت السورة به؟ ومَن هو أبو لهب؟ وما سر عداوته لله –تعالى– ولرسوله –صلى الله عليه وسلم–؟ ومن هي امرأة أبي لهب؟ ولماذا توعَّدها الله –عز وجل– بالعذاب في السورة الكريمة؟ وما مناسبة السورة لما قبلها؟ وما المعاني اللغوية لمفردات الآيات الكريمة؟ وما القراءات الواردة في الآيات؟ وما مناسبة الآيات لما قبلها؟ وما تفسير الآيات الكريمة؟

وما الأوجه البلاغية الواردة في الآيات الكريمة؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي يجيب عنها البحث.

أهمية الموضوع: ترجع أهمية هذا الموضوع إلى عدة نقاط، أوجز أهمها فيما يأتي:

(١) تعلقه بكتاب الله –تعالى–، الذي هو خير الكتب وأشرفها على الإطلاق، وهو المصدر الأول من مصادر الشريعة الإسلامية.

(٢) كونه يجيب عن الإشكاليات التي سبق ذكرها.

أسباب اختيار الموضوع:

(١) الرغبة الصادقة في خدمة كتاب الله –تعالى–، ووضع لبنة جديدة في بناء المكتبة الإسلامية العظيمة.

(٢) كون الدراسة التحليلية لهذه السورة الكريمة –ولغيرها من سور القرآن الكريم– تصقل الباحث، وتُكوّن لديه مَلَكة تفسيرية.

منهج البحث:

سرت مستعينا بالله –تعالى– في هذا البحث على المنهج التحليلي، مراعيا ما يأتي:

(١) عزو الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر رقم الآية.

(٢) تخريج جميع الأحاديث الواردة، والحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين، وعزو كل حديث إلى مصادره من كتب السنة المعتبرة.

(٣) أذكر المصدر أو المرجع ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة لأول مرة، بدون توثيق كامل في طول البحث وعرضه، مُكْتَفِيًا بذكر هذا التوثيق في فهرس المصادر والمراجع؛ طلبًا للاختصار.

(٤) تبيين معاني المفردات الغريبة من المعاجم اللغوية.

(٥) الترجمة للأعلام غير المشهورين الواردين في الرسالة، مستعينًا بكتب التراجم والطبقات.

(٦) توثيق الأبيات الشعرية، وعزوها إلى قائليها.

(٧) ضبط ما يحتاج إلى ضبط بالشكل؛ لرفع مَظِنَّة اللبس.

(٨) ذكر القراءات القرآنية، والوجوه الإعرابية، والمناسبات، وبعض الأوجه البلاغية في كل آية، كذا ما يؤخذ من الآيات الكريمة.

(٩) توثيق النقول، والتعليق عليها إن دعت الضرورة إلى ذلك.

(١٠) التوفيق بين الأقوال إن أمكن.

(١١) ترجيح ما يمكن ترجيحه إن تعذر التوفيق والجمع، ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

خطة البحث:

هذا، وقد انتظم الحديث عن هذه السورة الكريمة في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس عام للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

أما المقدمة فقد جاء فيها: إشكالية الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، ومنهجي في البحث.

وأما **المبحث الأول فقد جاء بعنوان: بين يدي السورة الكريمة**، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة.

المطلب الثاني: نوع السورة.

المطلب الثالث: عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها.

المطلب الرابع: ترتيب السورة.

المطلب الخامس: سبب نزول السورة.

المطلب السادس: فضائل السورة.

المطلب السابع: المناسبات المتعلقة بالسورة.

المطلب الثامن: موضوعات السورة ومقاصدها.

وأما المبحث الثاني فبعنوان: الدراسة التحليلية للسورة الكريمة، وتحت هذا المبحث خمسة مطالب:

المطلب الأول: تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض.

المطلب الثاني: ضياع كسب أبي لهب وأمره.

المطلب الثالث: بيان العاقبة السيئة لأبي لهب.

المطلب الرابع: ذم امرأة أبي لهب.

المطلب الخامس: بيان المصير المهين لامرأة أبي لهب.

وأما الخاتمة: فتشتمل على أهم النتائج.

وبعد؛

فإنني قد اجتهدت وبذلت وسعي، ولا أدّعي مقاربة الكمال فضلا عن بلوغه، بل هو جُهد مقل، قليل البضاعة، كليل الذهن، فما كان من توفيق فمن الله –سبحانه وتعالى–، وما كان من خطأ أو زلل فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه مما جنته يداي؛ إنه هو الغفور الرحيم.

وأسأل الله –تعالى– أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم؛ إنه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

المبحث الأول

بين يدي السورة الكريمة

يجدر بالمتصدي لتفسير القرآن الكريم أن يُلقي الضوء على السورة الكريمة المراد تفسيرها؛ من خلال مقدّمة تعريفية لها، تعطي للقارئ البيانات المهمة حولها؛ فهي بمثابة الكشاف، وإن شئت فقل: هي المدخل الرئيس الذي يُولج من خلاله لتحليل مفردات السورة الكريمة، وبيان ما في تراكيبها، وغير ذلك مما يعالجه المفسر.

لذا قدَّمت بين يدي السورة الكريمة بمطالب ثمانية:

المطلب الأول: أسماء السورة

حَرِيٌّ بي قبل بيان أسماء السورة الكريمة، أن أُعرج على مصدرية تسمية سور القرآن الكريم، وأُبيّن أقوال العلماء فيها من حيث كونها توقيفية أم توفيقية اجتهادية؟

فأقول –وبالله التوفيق–: إن النظر في هذه القضية يكون من جانبين:

الجانب الأول: التسمية باسم واحد، أو التسمية بالاسم الذي تشتهر به[1].

الجانب الثاني: تعدد الأسماء للسورة الواحدة.

أما عن الجانب الأول فقد أجمع العلماء على أن تسمية السورة باسم واحد تُعرف به توقيفية من النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ إذ لا يمكننا تصور وقوع الترتيب من رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– إلا بعد ذكر اسم السورة، وتحديد

(١) قال الإمام السيوطي: " اسم السورة الذي تشتهر به توقيفي...". ينظر: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (٥٢/١).

الموضع الذي توضع فيه الآية[١].

ومن الأدلة على ذلك: ما ورد عن أبي الدرداء –رضي الله عنه–، أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[٢].

أما عن الجانب الثاني من جوانب القضية، وهو: تعدد الأسماء للسورة الواحدة، فقد اختلف العلماء إزاءه على عدة أقوال[٣]: والذي أميل إليه: هو ما اختاره شيخ مشايخنا العلامة أ.د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة –عليه شآبيب الرحمة– من أننا لا نقول بالتوقيف إلا فيما ثبت فيه التوقيف، أما إذا لم يرد توقيف فنقول فيه –على أقل تقدير– بالتوقف[٤].

وإذا تمهَّد ما تقدم من مصدرية تسمية السور، فإنني أقول: قد ورد لهذه السورة الكريمة عدة أسماء:

الأول: سورة "الْمَسَد"؛ لقوله تعالى في آخرها –متوعدا زوجة أبي لهب–: (فِي

(١) الواضح في علوم القرآن، المؤلف: مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، (ص: ٧٧–٧٨)، (بتصرف).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا)، باب (فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ)، (١/٥٥٥)، برقم (٨٠٩).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (١/٢٧٠)، وانظر: التحبير في علم التفسير للحافظ السيوطي، (ص: ٣٦٩)، وانظر أيضا: المدخل لدراسة القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، (ص: ٣٢١).

(٤) انظر: التفسير التحليلي لسورة النساء، المؤلف: أ.د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة، (٧–١٣)، (بتصرف).

جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)) ، وهذا الاسم هو المثبت في المصاحف التي نقرأ فيها، ولعلَّ التسمية بهذا الاسم؛ لتفرده في هذه السورة الكريمة دون بقية السور الأخرى[١].

الثاني: سورة "تبَّت"، وقد عنون لها بهذا الاسم كثير من المفسرين، كالإمام الطبري[٢]، والقاضي البيضاوي[٣]، والحافظ ابن كثير[٤]، وكذلك عنونها الترمذي في «جامعه»[٥]؛ تسمية لها بأول مفردة فيها(٦)، قال تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)).

الثالث: سورة "أبي لهب"، على تقدير: سورة ذكر أبي لهب[٧]. وقد عنون لها بهذا الاسم بعض المفسرين:[٨]، وقد سُميت بهذا الاسم؛ لذكر أبي لهب في

(١) أسماء سور القرآن، عبد الله الهنائي، (ص: ١٩٢)، بتصرف يسير.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (٦٧٣/٢٤).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (٣٤٥/٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (٥١٤/٨).

(٥) جامع الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (٤٥١/٥).

(٦) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (٥٩٩/٣٠)، (بتصرف يسير).

(٧) المرجع السابق (٥٩٩/٣٠).

(٨)كالإمام الرازي، والإمام النسفي، وذكر هذا الاسم الإمام القاسمي، كما عنون لها الإمام الحاكم في مستدركه. ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله

أول آياتها، (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١))، ولعل التسمية بهذا الاسم؛ لتفرد السورة الكريمة بذكر قصة أبي لهب، دون سائر السور الأخرى[١].

الرابع: سورة "اللهَب"[٢]؛ لذكر هذه المفردة في الآية الثالثة من السورة الكريمة، قال تعالى: (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣)).

الخامس: سورة "تبَّت يدا أبي لهب"، وبهذا عنون لها الإمام البخاري في صحيحه[٣].

المطلب الثاني

نوع السورة

أقصد بنوع السورة: كونها مكية أو مدنية[٤]، أو مختلفا فيها بين المكي

محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (٣٤٨/٣٢)، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (٦٩١/٣)، ومحاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (٥٦٣/٩)، والمستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، (٥٨٨/٢).

(١) أسماء سور القرآن (ص: ١٩٢)، بتصرف يسير.

(٢) التحرير والتنوير (٥٩٩/٣٠).

(٣) صحيح البخاري، (١٧٩/٦). وقد سُميت بهذا الاسم؛ لافتتاحها بهذه الجملة.

(٤) وأشهر ما ورد في الفرق بين المكي والمدني: "أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها؛ سواء نزل بمكة أم بالمدينة، عام الفتح، أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار". الإتقان (٣٧/١)، (بتصرف يسير).

والمدني[١].

ولمعرفة المكي والمدني فوائد مهمة[٢]، منها:

(١) تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفا للحكم في غيرها، ثم عُرف أن بعضها مكي وبعضها مدني، فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي؛ نظرا إلى تأخر المدني عن المكي.

(٢) معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

(٣) الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف. ويدل على ذلك: اهتمام المسلمين به كل هذا الاهتمام حتى إنهم ليعرفون ويتناقلون ما نزل منه قبل الهجرة، وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر، وما نزل بالسفر...

وسورة المسد من السور التي انعقد الإجماع على مكيتها، ونقل هذا الإجماع الإمام ابن عطية؛ حيث قال: "وهي مكية بإجماع"[٣]. بل هي من أوائل السور التي نزلت بمكة[٤].

(١) وقد وضع العلماء ضوابط للتمييز بين المكي والمدني من القرآن الكريم. انظر هذه الضوابط في: الإتقان (١/٦٩-٧٠)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، (١/١٩٦-١٩٧).

(٢) مناهل العرفان (١/١٩٥).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، (٥/٥٣٤).

(٤) الناسخ والمنسوخ – وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، المؤلف: محمد بن مسلم بن عبد الله

المطلب الثالث

عدد آيات السورة[1] وكلماتها وحروفها

وقبل بيان هذا المطلب، أذكر بعض الفوائد التي تعود علينا من خلال معرفة آيات الكريمة، وهي كالآتي:

(١) العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي –صلى الله عليه وسلم–، وفي حكمها الآية الطويلة التي تعدل بطولها تلك الثلاث القصار[2].

(٢) أنه يترتب على معرفة الآي وعدها وفواصلها أحكام فقهية: منها: انعقاد الإجماع على أن الصلاة لا تصح بنصف آية[3]، ومنها: اعتبارها في قيام الليل[4]؛ فقد ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ –رضي الله عنهما–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ... »

بن شِهَاب الزهري، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، (ص: ٣٧).

(١) تناولت قضية عدِّ آيات السورة في رسالتي الدكتوراه، الموسومة بـ((قضايا علوم القرآن عند القاضي الشهاب الخفاجي المتوفَّى ١٠٦٩ هـ من خلال حاشيته على أنوار التنزيل وأسرار التأويل الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (دراسة استقرائية تحليلية)، من (ص: ١٤٢–١٤٧)، بما أغنى عن إعادته في هذا البحث، وقد ترجَّح لدي موافقة القاضي الشهاب الخفاجي في كون عدِّ الآيات توقيفيا. والله أعلم.

(٢) مناهل العرفان (٣٤٦/١).

(٣) الإتقان (٢٤١/١)، (بتصرف يسير).

(٤) المرجع السابق (٢٤٠/١).

الحديث[1].

إذا تقرر هذا فإنني أقول: إن سورة المسد خمس آيَات فِي جَمِيع الْعدَد، لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف".

أما عن كلماتها فهي ثَلَاث وَعِشْرُونَ كلمة، ككلم سورتي: الْفِيل، والفلق. وأما عن عدد حروفها فهي: سَبْعَة وَسَبْعُونَ حرفا، كحروف سورة النَّصْر[2].

المطلب الرابع

ترتيب السورة

قبل بيان ترتيب السورة الكريمة النزولي والمصحفي، ينبغي أن أُبين أن هذا الترتيب توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه؛ وذلك لأدلة كثيرة، منها:

(١) قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ[3]، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ[4]، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ

(١) أخرجه أبو داوود في سننه، أبواب (قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَحْزِيبِهِ وَتَرْتِيلِهِ)، باب (تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ)، (٢/٥٤٥)، برقم (١٣٨٩)، بإسناد حسن.

(٢) البيان في عدّ آي القرآن، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، (ص: ٢٩٥). (بتصرف يسير).

(٣) أي: السبع الطوال.

(٤) قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام، خصوا كلا منها باسم معين، وهي: الطوال، والمئين، والمثاني، والمفصل. فالطوال سبع سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. فهذه ستة واختلفوا في السابعة أهي الأنفال وبراءة معا؛ لعدم الفصل بينهما بالبسملة، أم هي سورة يونس؟. والمئون: هي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها. والمثاني: هي التي تلي المئين في عدد الآيات. وقيل: هي السور التي آيها أقل من مائة آية؛ لأنها تثنى، أي: تُكرر أكثر مما تثنى الطوال

بِالْمُفَصَّلِ[1]». ووجه الدلالة من هذا الحديث: كون ترتيب السور المذكورة فيه مرتبة في المصحف، وموجودة بهذا الوضع؛ من غير ثمة اختلاف.

(٢) عن ابن مَسْعُودٍ –رضى الله عنه–، قَالَ: « فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي...[2]»، وفي هذا الحديث دلالة على توقيفية ترتيب السور، وأن وضعها الآن على ما كان.

والمئون. وقيل: لتثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر، وقيل: هي السور التي ثنيت فيها القصص، وقد تطلق على القرآن كله، وعلى الفاتحة. والمفصل: هو أواخر القرآن، واختلفوا في تعيين أوله على اثنا عشر قولا، وصحَّح النووي أن أوله الحجرات. وسمي بالمفصل؛ لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ منه؛ ولهذا يسمى المحكم أيضا. والمفصل ثلاثة أقسام: طوال وأوساط وقصار، فطواله من الحجرات إلى النبأ، وأوساطه منها إلى الضحى، ومنها إلى آخر القرآن قصاره. هذا أقرب ما قيل فيه. ينظر: الإتقان (١/٢٢٠-٢٢٢)، (بتصرف كثير)، ومناهل العرفان (١/٣٥٢)، (بتصرف كثير).

(١) أخرجه أبو داوود الطيالسي في مسنده، مسند (واثلة بن الأسقع عن النبي –صلى الله عليه وسلم–)، (٢/٣٥١)، حديث رقم (١١٠٥)، بإسناد حسن، وأخرجه البيهقي في السنن الصغرى، كتاب (فضائل القرآن)، باب (تَخْصِيصِ السَّبْعِ الطِّوَالِ بِالذِّكْرِ)، ((١/٣٤١)، حديث رقم (٩٦٢)، بإسناد حسن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (تفسير القرآن)، باب (قوله:(... وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ...) النحل: ٧٠])، (٦/٨٢)، حديث رقم (٤٧٠٨). وقال شارحه: «(تلادي): محفوظاتي القديمة، والتالد والتلاد: كل ما كان قديما»، وفي كتاب (فضائل القرآن)، باب (تأليف القرآن)، (٦/١٨٥)، حديث رقم (٤٩٩٤).

(٣) أنه لم يُنْقَل عن الصحابة –رضى الله عنهم– –زمن الجمع العثماني– أي اعتراض على ترتيب السور؛ ولو نُقِل ثمة اعتراض لتناقلته الأجيال، واشتهر، أما وإنه لم يُؤثَر عنهم اعتراض دل ذلك على أن الأمر لا دخل للاجتهاد فيه[١].

(٤) أن جبريل –عليه السلام– كان يعرض القرآن على النبي –صلى الله عليه وسلم– في كل عام مرة، وفي العام الذي توفَّاه الله –عز وجل– فيه عرضه مرتين، فكيف كان العرض؟ هل على ترتيب النزول؟ أو على ترتيب المصحف، وإذا كان على ترتيب النزول أو على ترتيب آخر بخلاف ما هو عليه الآن فكيف يتسنى لزيد بن ثابت –رضى الله عنه– أن يخالف هذا الترتيب، وهو بيقين شهد العرضة الأخيرة، وكان يُقْرِئ الناس بها حتى مات، مما شرَّفه أن يكون مشرفا على لجنة الجمع العثماني؟ إنه مما لا شك فيه أن عرض القرآن على النبي –صلى الله عليه وسلم– كان على حسب ما رُتِّب عليه بعد في المصحف العثماني، وأقرّته لجنة الجمع بلا خلاف[٢].

وسورة المسد عُدَّت السادسةَ من السور نزولا؛ حيث نزلت بعد سورة الفاتحة، وقبل سورة التكوير[٣]. أما من ناحية الترتيب المصحفي فهي: السورة الحادية عشرة بعد المائة في عداد السور، مرتبة بعد سورة النصر، وقبل سورة الإخلاص.

(١) ينظر: البرهان في ترتيب سُوَر القرآن (ص: ٥٢)، (بتصرف كثير).
(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٥٥)، (بتصرف يسير).
(٣) التحرير والتنوير، (٣٠/٥٩٩)، (بتصرف يسير).

المطلب الخامس

سبب نزول السورة[١]

سبب النزول هو: ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى: أنه حادثة وقعت في زمن النبي –صلى الله عليه وسلم– أو سؤال وجِّه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال[٢].

ولمعرفة سبب النزول أهمية كبيرة، وفوائد كثيرة، منها:

(١) معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم[٣].

(٢) معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين؛ حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء، ويبرأ المريب مثلا[٤].

(٣) أن اللفظ قد يكون عاما، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي، وإخراجها بالاجتهاد ممنوع[٥].

(٤) تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع

(١) ينبغي على الباحث في ميدان الدراسات القرآنية أن يعلم أن نزول القرآن الكريم على قسمين: الأول: ما نزل ابتداء بلا سبب، وهو الكثير الغالب. والثاني: ما نزل عقب واقعة أو سؤال؛ فلا يتكلف الباحث في إيجاد سبب لما نزل ابتداء. الإتقان (١٠٧/١)، (بتصرف كثير).

(٢) مناهل العرفان (١٠٦/١).

(٣) ينظر: الإتقان (١٠٧/١).

(٤) مناهل العرفان (١١٣/١).

(٥) ينظر: الإتقان (١٠٧/١).

الآية إذا عرف سببها[١].

(٥) الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال[٢]؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها[٣].

إذا تمهَّد ما سبق؛ فإنني أقول: إن سبب نزول سورة المسد، هو: ما ورد "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤][٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ[٥] لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا [٦] بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ:

(١) مناهل العرفان (١١٣/١).

(٢) الإتقان (١٠٨/١).

(٣) أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ص: ١٠).

(٤) وَالسِّرُّ فِي الْأَمْرِ بِإِنْذَارِ الْأَقْرَبِينَ: أَوَّلًا: أَنَّ الْحُجَّةَ إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِمْ تَعَدَّتْ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَإِلَّا فَكَانُوا عِلَّةً لِلْأَبْعَدِينَ فِي الِامْتِنَاعِ، وَأَنْ لَا يَأْخُذَهُ مَا يَأْخُذُ الْقَرِيبَ لِلْقَرِيبِ مِنَ الْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ فَيُحَابِيهِمْ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّخْوِيفِ؛ فَلِذَلِكَ نَصَّ لَهُ عَلَى إِنْذَارِهِمْ. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٠٣/٨).

(٥) قَوْله: (أَرَأَيْتكُم)، مَعْنَاهُ: أخبروني. وَالْعرب تَقول: أرأيتكما وأَرَأَيْتكُم عِنْد الاستخبار، بِمَعْنى: أخبراني وأخبروني. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، (١٠٢/١٩)، (بتصرف يسير).

(٦) أي: عسكرا. عمدة القاري (١٠٢/١٩).

«فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ[1] سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟[2] فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ١:٢]"[3].

وأخرج الواحدي بسنده، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَامَ رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم–، فَقَالَ: يَا آلَ غَالِبٍ! يَا آلَ لُؤَيٍّ! يَا آلَ مُرَّةَ! يَا آلَ كِلَابٍ! يَا آلَ قُصَيٍّ! يَا آلَ عَبْدِ مَنَافٍ! إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَلَا مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبًا، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ! لِهَذَا دَعَوْتَنَا؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ –تَعَالَى–: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)[4]". ولكن في هذا الحديث مقال، كما هو مُبيّن في تخريجه، فيترجَّح ما ذُكِر في صحيح البخاري عليه.

وأخرج الطبري بسنده، عن يزيد بن زيد[5]: أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي لَهَبٍ، كَانَتْ تُلْقِي

(١) أي: ألزمك الله هلاكًا وخسرانًا. منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي، (٧٧/٨).

(٢) الْهمزَة فِيهِ للاستفهام على وَجه الْإِنْكَار. عمدة القاري (١٠٢/١٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (تَفْسِيرِ القُرْآنِ)، باب ({وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ} [الشعراء: ٢١٥]: أَلِنْ جَانِبَكَ)، (١١١/٦)، برقم (٤٧٧٠). وقد أورده في صحيحه في عدة مواضع بروايات مدارها على ابن عباس –رضي الله عنهما–.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٩)، حديث رقم (٨٧٧)، وقال محققه: "ضعيف: الكلبي متهم بالكذب، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس".

(٥) يزيد بن زيد بن حصين الخطميّ، صحابي جليل، شهد أُحُدًا. ولم أقف على تاريخ وفاته فيما توفّر لدي. الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٥١٥/٦)، (بتصرف كثير).

فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الشَّوْكَ، فَنَزَلَتْ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ... وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ"[1]. وهذا وإن كان موقوفا على يزيد بن زيد –رضي الله عنه–، إلا أن له حكم المرفوع، قال ابن الصلاح –وهو يُعدِّد السُّنن المرفوعة – : " الثالث: مَا قِيلَ مِنْ أَنَّ تَفْسِيرَ الصَّحَابِيِّ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي تَفْسِيرٍ يَتَعَلَّقُ بِسَبَبِ نُزُولِ آيَةٍ يُخْبِرُ بِهِ الصَّحَابِيُّ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ..."[2]، وهذه الرواية الواردة عن الإمام الطبري لا تعارض ما ورد في صحيح البخاري؛ إذ لا مانع من تعدد سبب النزول، قال الإمام الآلوسي: «ولا مانع من تعدد سبب النزول، كما حقَّقوه[3]». والله أعلم.

المطلب السادس

فضائل السورة

لقد وضعت أحاديث كثيرة في فضائل السور والآيات، وقصد واضعوها ترغيب الناس في قراءة القرآن الكريم، وزعموا أن في ذلك حسبة إلى الله – تعالى–، وهذا يدل على فساد قصدهم، وبطلان زعمهم، وهو داخل تحت الوعيد، في قوله –صلى الله عليه وسلم–: "«إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[4][5]".

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٧٨/٢٤)، بإسناد رجاله ثقات.

(٢) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ص: ٥٠).

(٣) ينظر: روح المعاني (١٩٦/٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الجنائز)، باب (مَا يُكْرَهُ مِنَ النِّيَاحَةِ عَلَى المَيِّتِ)، (٨٠/٢)، برقم (١٢٩١). من حديث المغيرة –رضي الله عنه–.

(٥) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو

ومن فضل الله –تعالى– على الأمة الإسلامية أن قيَّض لها علماء أجلاء، وألهمهم الكتابة في الدخيل في التفسير بالمأثور، والدخيل في التفسير بالرأي؛ في محاولة جادة لتنقية كتب التراث مما شابها، وهذا يدل على أنهم لم يقدسوا التراث تقديسا تاما، ولم يقلدوا الأقدمين تقليدًا أعمى –كما يدَّعى المدَّعون في الوقت الراهن–، بل استعملوا النقد الجاد، وتجرَّدوا، وقدحوا زناد فكرهم، وهذَّبوا، وأضافوا، ونقَّحوا التراث من الدخيل والموضوع والمكذوب والخرافات ...[1]، ولا زالت الرسائل العلمية والأبحاث تتوالى إلى يومنا هذا؛ لتنقية التراث من الدخيل[2].

وبعد هذا التمهيد أقول: إنه ورد في فضل سورة المسد ثلاثة أحاديث كلها لا تصح:

شُهبة، (ص: ٣٠٧)، (بتصرف يسير).

(١) ويجدر بي في هذا المقام أن أشير إلى ما قاله الإمام ابن عاشور في موقف الناس من التراث؛ حيث قال: "ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما أشاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضرر كثير، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي: أن نعمد إلى ما شاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، علمًا بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة...". التحرير والتنوير (٧/١).

(٢) وقد طفحت وسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا هذا بنشر خرافات وأساطير مكذوبة، ونسبتها زورا وبهتانا إلى سيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؛ فلنحذر من هذا، ولا ننشر شيئا إلا بعد التأكد منه والرجوع إلى أهل العلم المتخصصين؛ عملا بقول الله –تعالى–: (... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣].

الأول: "من قَرَأَ سُورَة تبَّت رَجَوْت ألا يجمع الله بَينه وَبَين أبي لَهب فِي دَار وَاحِدَة"(١).

والثاني: ما ورد عن علي –رضي الله عنه–: أن النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يا علي من قرأها أعطاه الله ثواب الصالحين، وله بكل آية قرأها ثواب عتق رقبة"(٢).

الثالث: ما ورد عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُوتِرُ بِتِسْعِ سُوَرٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ" قَالَ أَسْوَدُ: " يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى: أَلْهَاكُمِ التَّكَاثُرُ، وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ: وَالْعَصْرِ، وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَإِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَتَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ "(٣).

(١) رَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ فِي تَفْسِيره من حَدِيث سَلام بن سليم ثَنَا هَارُون بن كثير عَن زيد بن أسلم عَن أَبِيه عَن أبي أُمَامَة عَن أُبي بن كَعْب قَالَ: قَالَ رَسُول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: من قَرَأَ سُورَة تبت ... إِلَى آخِره، وَرَوَاهُ ابْن مرْدَوَيْه فِي تَفْسِيره بسنديه فِي آل عمرَان. وهو حديث موضوع. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (٣٢٣/١٠)، وانظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، (٣٢٨/٤)، وانظر أيضا: الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، (١١٣٤/٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٥٥٢/١)، (بتصرف يسير). والظاهر أن هذا الحديث موضوع كسابقه. والله أعلم.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٩٧/٢–٩٨)، برقم (٦٧٨)، بإسناد ضعيف. وقد شرط المحققون لقبول الضعيف عدة شروط، وهي: (١) كونه في الفضائل ونحوها، بل

وهذه السورة الكريمة وإن لم يرد في فضلها أحاديث صحيحة، إلا أنها تدخل تحت الفضائل العامة للقرآن الكريم، والتي منها قول سيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ...»[1]

المطلب السابع

المناسبات المتعلقة بالسورة

لسورة المسد بما قبلها وما بعدها مناسبات من جهات متعددة، وإليك بيانها كالآتي:

(١) المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر:

تتجلى المناسبة بين السورتين الكريمتين في أن سورة المسد مع ما قبلها في قوة أن لو قيل: قد انقضى عمرك يا محمد وانتهى مما قلدته من عظيم أمانة الرسالة أمرك، وتأدية ما تحملته وحان أجلك، وأمارة ذلك دخول الناس في دين

أشار الحافظ السيوطي إلى أنه يُعمل بالضعيف في الأحكام إذا كان فيه احتياط. (٢) أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه. (٣) أن يندرج تحت أصل معمول به. (٤) أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط. انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (٣٥١/١)، وانظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (ص: ١١٦).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا)، باب (فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ)، (٥٥٣/١)، حديث رقم (٨٠٤)، من حديث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ –ت–.

الله أفواجا، واستجابتهم بعد تلكؤهم، والويل لمن عاندك وعدل عن متابعتك، وإن كان أقرب الناس إليك، فقد فصلت سورة "قل يا أيها الكافرون" بين أوليائك وأعدائك، وبان بها حكم من اتبعك ومن عاداك؛ ولهذا سيمت سورة الكافرون بالمقشقشة أي: المبرئة من الشرك والنفاق(١)؛ ليعلم كفار قريش وغيرهم أنه لا اعتصام لأحد من النار إلا بالإيمان، وأن القرابات غير نافعة ولا تجديه شيئا إلا مع الإيمان(٢). وهذا الوجه في المناسبة هو أقوى الوجوه؛ لذا قدَّمته.

وقد وردت أقوال أخرى، فقيل: لما ذكر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الإسلام، عقَّبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه. وقيل: هو من اتصال الوعيد بالوعد، وفي كلٍّ مسرة له -عليه الصلاة والسلام-(٣).

وقيل: إنه لما قال: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: ٦]، فكأنه قيل: إلهي، وما جزائي؟ فقال الله له: النصر والفتح، فقال: وما جزاء عمي الذي دعاني إلى عبادة الأصنام؟ فقال: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد: ١] الآيات. وقدم الوعد على الوعيد؛ ليكون النصر معللًا بقوله: {وَلِيَ دِينِ}، ويكون الوعيد راجعًا إلى قوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ}، على حد قوله: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ...) [آل عمران: ١٠٦]. فتأمل هذه المجانسة الحاصلة بين هذه

(١) التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٣/٢٩٤٦).
(٢) البرهان في تناسب سور القرآن، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، (ص: ٣٨٣-٣٨٤).
(٣) روح المعاني (١٥/٤٩٦).

السور، مع أن سورة النصر من آخر ما نزل بالمدينة، والكافرون والمسد من أوائل ما نزل بمكة؛ لتعلم أن ترتيبها من الله –تعالى–، وبأمره –عزَّ وجل– [1].

وقيل: إنه لما قدم –سبحانه وتعالى– في سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة، والأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذي مَرَّ عليهم مع الذلة من القلة، وختمها بأنه التواب، وكان أبو لهب – من شدة العناد لهذا الدين والأذى لإمامة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سيد العالمين مع قربه منه – بالمحل الذي لا يجهل، بل شاع واشتهر، وأحرق الأكباد، وصهر، كان بحيث يسأل عن حاله إذ ذاك هل يثبت عليه أو يذل، فشفى غلَّ هذا السؤال، وأزيل بما يكون له من النكال، وليكون ذلك بعد وقوع الفتح ونزول الظفر والنصر، والإظهار على الأعداء بالعز والقهر، مذكراً له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما كان أول الأمر من جبروتهم وأذاهم وقوتهم بالعَدد والعُدد، وأنه لم يغن عنهم شيء من ذلك، بل صدق الله وعده في قوله سبحانه وتعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) [آل عمران: ١٢] وكذبوا فيما كانوا فيه من التعاضد والتناصر والتحالف والتعاقد، فذكر تعالى أعداهم له وأقربهم إليه في النسب إشارة إلى أنه لا فرق في تكذيبه لهم بين القريب والبعيد. وإلى أنه لم ينفعه قربه له؛ ليكون ذلك حاملاً لأهل الدين على الاجتهاد في العمل من غير ركون إلى سبب أو نسب غير ما شرعه سبحانه[2]. والله أعلم.

(١) أسرار ترتيب القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ص: ١٧١).

(٢) نظم الدرر (٢٢/٣٢٧-٣٢٨).

(٢) المناسبة بين سورة المسد وسورة الإخلاص:

لَمَّا بيَّن سبحانه وتعالى في سورة المسد بذلك إهلاكه عدوه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وختم بأعدى أعدائه فحكم بهلاكه، وهلاك زوجه هلاكا لا جبر له على وجه مبين أنه في أدنى دركات الحقارة، وأعظم أنواع الخسارة، فرقص الفكر طربا من هذه الأمور، وسكر اللب من عجائب المقدور، واهتزَّ السامع غاية الاهتزاز إلى وصف الفاعل لذلك، الذي هو خارج عن طوق البشر، وخارق للعوائد، وهو إظهار شخص واحد على الناس كافة مع شدة عداوتهم له، جاءت سورة الإخلاص كاشفة لما ثبت من العظمة لولي النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سبحانه وتعالى الذي أمره بهذا الدين، وفعل له هذه الأمور العظيمة؛ لئلا يستبعد عليه سبحانه وتعالى شيئا من ذلك ولا غيره[١]. وهذا الوجه هو أقوى الوجوه في المناسبة بين سورة المسد وسورة الإخلاص؛ لهذا أوردته أوّلا.

وقد ورد وجهان آخران ليسا في قوة الوجه الأول، فقيل: إنه لما تقدم في سورة المسد عداوة أقرب الناس إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث، وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد[٢]. وقيل: وضعت سورة الإخلاص عقب سورة المسد؛ للوزان في اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة المسد[٣]. والله أعلم.

(١) نظم الدرر (٢٢/٣٤٦-٣٤٧)، (بتصرف يسير).
(٢) البحر المحيط في التفسير (١٠/٥٧٠)، (بتصرف يسير).
(٣) تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي، (ص: ١٤٦)، (بتصرف يسير)..

المطلب الثامن

موضوعات السورة ومقاصدها

أولا: موضوعات السورة

الناظر في سورة المسد يدرك أنها اشتملت على عدة موضوعات، وهي كالآتي:

(١) افتتحت السورة الكريمة بزجر أبي لهب على قوله: "تبًّا لك ألهذا جمعتنا؟[١]"، وبيان خسارته وهلاكه؛ بسبب ما اقترفته يداه من الصدِّ عن سبيل الله[٢].

(٢) بيان أن جاهه وماله لن يغنيا عنه شيئا من عذاب الله[٣].

(٣) بيان مآل أبي لهب إلى العذاب الشديد؛ لشدة إيذائه النبي –صلّى اللَّه عليه وسلّم– ومعاداته له، وصدّه الناس عن الإيمان به[٤].

(٤) ذم امرأة أبي لهب، والتي كانت تعمل عملا مستقبحا من بنات جنسها[٥].

(١) سبق تخريجه، عند مطلب: سبب نزول السورة.

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٦٠٠)، (بتصرف كثير). وانظر: دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها، المؤلف: د/ عمر على حسان عرفات، (ص: ٧٩٤) ، (بتصرف كثير).

(٣) دلالة أسماء السور القرآنية، (ص: ٧٩٤).

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٣٠/٤٥٣)، (بتصرف يسير).

(٥) دلالة أسماء السور القرآنية، (ص: ٧٩٤)، (بتصرف يسير).

(٥) وختمت السورة الكريمة ببيان المصير المذل لامرأة أبي لهب؛ على انتصارها لزوجها، وبغضها النبي -صلى الله عليه وسلم-[١].

ثانيا: مقصد سورة المسد:

مقصدها: البتُّ، والقطع الحتم بخسران الكافر، ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين [٢]. وبهذا يكون قد انتهى المبحث الأول، وآن الشروع في الدراسة التحليلية.

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٦٠٠)، (بتصرف كثير).

(٢) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (٣/٢٧٦-٢٧٧).

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية للسورة الكريمة

المطلب الأول

تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض

قال الله –تعالى–: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١))

أولا: اللغة

التَّبَابُ: الخُسْرانُ والهَلاكُ(١). تقول منه: تَبَّ تَباباً، وتَبَّتْ يداهُ، وتقول: تَبّاً لفلانٍ، تَنْصِبُهُ على المصدر بإضمار فِعْلٍ، أي: أَلْزَمَهُ الله هلاكاً وخُسراناً. واسْتَتَبَّ الأمْرُ: تَهَيَّأَ واستقام(٢). والتَّتْبِيبُ تَفْعِيلُ: النَّقْصُ والخَسَارُ المُؤَدِّي

(١) والتحقيق: أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة : هو الخسران الممتدّ المنتهى إلى الهلاك. وبهذه المناسبة قد تطلق على الخسار ، وقد تطلق على الهلاك. وأمّا الاستتباب : فهو طلب التباب طبيعيّا أو إراديّا. ومن هذا المعنى الانقياد والذلّة. وأمّا التهيّؤ والاستقامة : فإنّ الطلب الطبيعىّ نوع تهيّؤ واستقامة في مقابل الحادثة وما يطلبه، فليس مفهوم الاستتباب مطلق التهيّؤ أو مطلق الاستقامة، بل على قبال الخسار والهلاك. {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١]. أي: خسرت يداه خسرانا يسوقه إلى الهلاكة وخسر وهلك بما فعلت يداه وما عمل من سوء، وهذا سبب تقدّم خسران اليد، {وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ} [غافر : ٣٧]، أي: يسوقه إلى الخسران والهلاك. {وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [هود : ١٠١]، أي: ما زاد آلهتهم لهم إلّا تخسيرا شديدا. وبهذا يظهر الفرق بينها وبين الخسران والهلاك والبوار : فإنّ التبَّ فيه خسران منته إلى الهلاك. والبوار هو المشرف إلى الهلاك. ويدلّ عليه التشديد في الباء الّتي هي من حروف الشديدة، بخلاف الراء وهي من الرخوة. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المؤلف: الشيخ/ حسن المصطفوي، (١/٤٠٤-٤٠٥).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي،

لِلْهَلَاكِ[1]. وأصل معنى التب: القطع، ومثله مقلوبه: البَتُّ، فاستتب الأمر لم يفارق القطع؛ إذ حقيقة معناه: انقطع على المراد[2].

وقيل: إن التَبّ والتَّبَاب هو: الاستمرار في الخسران، يقال: تَبّاً له وتَبٌّ له، وتَبَبْتُهُ: إذا قلت له ذلك، ولتضمن الاستمرار قيل: اسْتَتَبَّ لفلان كذا، أي: استمرّ[3].

اليد: تطلق في اللغة على عدة إطلاقات[4]، منها: القوَّةُ، وأيَّدَهُ، أي: قوَّاه. ومالي بفلان يدان، أي: طاقةٌ. واليَدُ: النعمة والإحسان تصطنعه[5]. واليدُ: من أَعْضَاء الْجَسَد وَهِي من الْمنْكب إِلَى أَطْرَاف الْأَصَابِع[6].

وتُطلق اليد أيضا على: الجَاه؛ والوَقار، والحَجْر على مَنْ يَسْتَحِقُّهُ، أَي:

باب (الباء)، فصل (التاء)، مادة: (تبب)، (٩٠/١).

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، باب (الباء)، فصل (التاء)، مادة: (تبب)، (٣١٨/١).

(٢) الجاسوس على القاموس، المؤلف: أحمد فارس فارس بن يوسف بن منصور الشدياق، (٤٢٧/١).

(٣) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، كتاب (التاء)، مادة (تب)، (ص: ١٦٢)، (بتصرف يسير.

(٤) انظر: تاج العروس، باب (الواو والياء)، فصل (الياء)، مادة (يدي)، (٣٥٣/٢٠-٣٥٨).

(٥) الصحاح، باب (الواو والياء)، فصل (الياء)، مادة (يدى)، (٢٥٣٩/٦-٢٥٤٠)، (بتصرف يسير).

(٦) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، باب (الياء)، (١٠٦٣/٢).

المَنْع عليه: وأَيْضاً: مَنْعُ الظُّلْم. كما تُطلق اليد على الطريق، فيقالُ: أَخَذَ فلانٌ يَدَ بَحْرٍ، أَي: طَرِيقَه؛ وبه فُسِّر قولُهم: تَفَرَّقُوا أَيادِي سَبَأ؛ لأنَّ أَهْلَ سَبَأ لمَّا مَزَّقهم اللَّه –تعالى– أَخَذُوا طُرُقاتٍ شَتَّى. وتُطلق اليد أيضا على القدرة، يقولون: لي عليه يَدٌ، أَي: قُدْرَةٌ. كما تُطلق اليد على السلطان، ومنه: يَدُ الرِّيحِ: سُلْطانُها. وتُطلق اليد أيضا على المِلْك، بِكسرِ المِيمِ، يقالُ: هذه الصَّنْعةُ في يَدِ فلانٍ، أَي: في مِلْكِه(١).

أبو لهب: اسمه: عبد العُزَّى، ابن عبد المطلب، عم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–(٢). وكان أبو لهب وامرأته من أشد قريش عداوة للنبي –صلى الله عليه وسلم–(٣).

والْأَبُ: الوالد(٤) والجد(٥)، وهو من (أَبَوَ)، والْهَمْزَةُ وَالْبَاءُ وَالْوَاوُ تدُلُّ عَلَى التَّرْبِيَةِ وَالْغَذْوِ، فيقال: أَبَوْتُ الشَّيْءَ آبُوهُ أَبْوًا: إِذَا غَذَوْتُهُ. وَبِذَلِكَ سُمِّيَ الْأَبُ أَبًا(٦). والأَبَوان: الأبُ والأُمُّ(١).

(١) تاج العروس، باب (الواو والياء)، فصل (الياء)، مادة (يدي)، (٣٥٣/٢٠)، (بتصرف كثير).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٥٦٦/١٠).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معانى القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لأبى محمد مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، (٨٤٨٢/١٢).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، حرف (الباء)، مادة (أبو)، (٥٦٢/١٠).

(٥) المعجم الوسيط، باب (الهمزة)، (٤/١).

(٦) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبى الحسين

ويُطلق الأب على الْعمّ، وعَلى صَاحب الشَّيْء، وعَلى من كَانَ سَببا فِي إِيجَاد شَيْء أَو ظُهُوره أَو إِصْلَاحه. وَيُقَال: فلَان أَبُو الضَّيْف وَأَبُو الأضياف إِذا كَانَ كَرِيمًا مطعاما، وَفُلَان ابْن أَبِيه إِذا شابه أَبَاهُ، وَيُقَال: لله أَبوك فِي معرض الْمَدْح والتعجب، وبأبي أَنْت أفديك بِأبي وَيُقَال: لَا أَب لَهُ فِي مَوَاضِع التَّعَجُّب والحثِّ والزجر[٢].

واللَّهَبُ هو: اشتعالُ النّارِ الذي قد خَلَص من الدُّخان. واللَّهَبانُ: تَوَقُّد الجَمْرِ بغَيْرِ ضِرام، وأَلْهَبْتُ النّار فالتهَبَتْ، وتَلَهَّبَتْ، أي: اتَّقَدَتْ. وألهبتها: أوقدتها. وَكُلُّ شَيْءٍ ارْتَفَعَ ضَوْءُهُ وَلَمَعَ لَمَعَانًا شَدِيدًا فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ ذَلِكَ[٣]. واللَهَبانُ، بالتحريك: اتّقادُ النار. وكذلك اللهيبُ واللُهابُ بالضم[٤]. واللّهَبْةُ: العَطَشُ، وقَدْ لَهِبَ يَلْهَبُ لَهَباً، فهو لَهْبانُ، أي: عطشان جدا[٥]، واللَّهَبُ: الْغُبَارُ السَّاطِعُ[٦] [٧].

المعروف بابن فارس، كتاب (الهمزة)، باب (الثُّلاثِيِّ الَّذِي أَوَّلُهُ الْهَمْزَةُ)، مادة، (أبَوَ)، (٤٤/١)، (بتصرف يسير).

(١) الصحاح، باب (الواو والياء)، فصل (الألف)، مادة (أبا)، (٢٢٦٠/٦).

(٢) المعجم الوسيط، باب (الهمزة)، (٤/١).

(٣) مقاييس اللغة، كتاب (اللام)، باب (اللَّامِ وَالْهَاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا)، مادة (لهب)، (٢١٣/٥).

(٤) الصحاح، باب (الباء)، فصل (اللام)، مادة (لهب)، (٢٢١/١)، (بتصرف بالحذف).

(٥) وَهَذَا عَلَى جِهَةِ الِاسْتِعَارَةِ، كَأَنَّ حَرَارَةَ جَوْفِهِ تَلْتَهِبُ. مقاييس اللغة، كتاب (اللام)، باب (اللَّامِ وَالْهَاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا)، مادة (لهب)، (٢١٤/٥).

(٦) انظر: المرجع السابق.

(٧) العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، باب

ثانيا: القراءات:

قرأ الجماعة:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهْبٍ} فقرأوا (أبي) بالياء[١]؛ لأنه مضاف إليه مجرور بالياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الستة.

وقرئ: (تَبَّتْ يَدَا أبو لَهَبٍ) بالواو[٢][٣]؛ لحكاية الرفع الذي هو أشرف أحوال اللفظ وأسبقها؛ ولذا حوفظ عليه، واشتهر الاسم به[٤].

وقرأ ابن كثير وابن محيصن[٥]: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهْبٍ} ساكنة الهاء، وقرأ الباقون: {أَبِي لَهَبٍ} مفتوحة الهاء[٦].

فأمّا تسكين الهاء؛ فلأنهما لغتان فيه، مثل: نَهْر، ونَهَر، أو لأنه مقيس في العين الحلقية[٧].

(الهاء واللام والباء معهما هـ ل ب، هـ ب ل، ل هـ ب، ب هـ ل، ب ل هـ مستعملات ل ب هـ مهمل)، مادة (لهب)، (٥٤/٤)، (بتصرف بالحذف).

(١) معجم القراءات، المؤلف: د/ عبد اللطيف الخطيب، (١٠/ ٦٢٧)، (بتصرف يسير).

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (٨١٤/٤).

(٣) حكاها أبو معاذ، وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه (ص: ١٨٢).

(٤) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، (٤٠٨/٨).

(٥) وقرأ بها أيضا مجاهد وحميد. انظر: معجم القراءات، (٦٢٨/١٠).

(٦) المبسوط في القراءات العشر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر، (ص: ٤٧٩)، وانظر: البحر المحيط في التفسير (٥٦٦/١٠).

(٧) حاشية الشهاب (٤٠٨/٨)، (بتصرف كثير).

وقرأ الجماعة: (وَتَبَّ)[1].

وقرأ ابن مسعود[2] وأُبي بن كعب -رضي الله عنهما-: (وقد تبَّ) [3]، وهي قراءة شاذة.

(١) معجم القراءات، (٦٢٨/١٠).

(٢) تنبيه مهم: بالنسبة لما يُنسب لابن مسعود -رضي الله عنه- من قراءات شاذة هي نسبة فيها نظر، والذي صحَّ عنه ما ورد في المصحف الأصلي، والذي ينبغي أن يقال إنه تفسير لما ورد في القرآن الكريم إن صحَّ ذلك عنه، فلا يُقرأ عنه بهذا في الصلاة، ومن قرأ بما نسب إليه من الشواذ أعاد صلاته. ثم من أين علمنا أنها قراءة له مع أنه أحرقت جميع المصاحف إلا المصحف المعتمد؟! فنحن نقرأ بقراءة ابن مسعود -رضي الله عنه- ما لم تخالف قراءته المصحف. فإن خالف المصحف لم نكذب بها، ولم نقرأ بها؛ لأنها خارجة عن الإجماع، منقولة بخبر الآحاد، والإجماع أولى من خبر الآحاد؛ ولأنا لا نقطع أنها قراءة ابن مسعود على الحقيقة؛ إذ لم يصحبها إجماع. ولذلك قال مالك وغيره: القراءة التي تنسب إلى ابن مسعود. فقال: تنسب إليه. ولم يقل قراءة ابن مسعود، والشيء قد ينسب إلى الإنسان، وهو غير صحيح عنه، فما روي من قراءة ابن مسعود وغيره، مما يخالف خط المصحف، ليس ينبغي لأحد أن يقرأ به اليوم؛ لأن الناس لا يعلمون علم يقين أنها قراءة ابن مسعود، وإنما هو شيء يرويه بعض من يحمل الحديث، ولا يجوز أن يعدل عن اليقين إلى ما لا يعلم يقينه. ينظر: الإبانة عن معاني القراءات، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ص: ٩٨-٩٩)، (بتصرف يسير)، وينظر: أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (١١٩/٤)، (بتصرف كثير).

(٣) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٨٢)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (٢٣٦/٢٠).

ثالثا: الإعراب:

(تَبَّتْ): تبَّ: فعل ماض مبني على الفتح، وتاء التأنيث حرف مبني على السكون، لا محل له من الإعراب.

(يَدَا) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، وأصله: (يدان)، فحذفت النون؛ للإضافة. و(يَدَا) مضاف.

و(أَبِي لَهَبٍ): (أَبِي): مضاف إليه مجرور بالياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الستة، و(أَبِي) مضاف، و(لَهَبٍ) مضاف إليه مجرور بالكسرة. و(أَبِي)، و(لَهَبٍ) مضافان إلى (يَدَا).

(وَتَبَّ): الواو: عاطفة. و(تَبَّ) فعل ماض مبني على الفتح. والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره: هو[1].

وجملة: ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) ابتدائية لا محل لها من الإعراب، وجملة: (وَتَبَّ) معطوفة على الابتدائية لا محل لها من الإعراب[2]، وإما أن تكون في موضع الحال، والواو واو الحال[3].

رابعا: التفسير والبيان:

معنى: (تَبَّتْ): اختلف المفسرون في معناها على عدة أقوال:

(١) القول الأول: أن معناها: هَلَكتْ، ومنه قولهم: "أشابة أم تابة"، يريدون:

(١) إعراب القرآن الكريم، المؤلف: أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، (٤٧٥/٣)، (بتصرف كثير).

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي، (٤٢١/٣٠)، (بتصرف كثير).

(٣) التحرير والتنوير، (٦٠٣/٣٠).

أم هالكة من الهرم والتعجيز[١][٢]. والمعنى: هلكت يداه؛ لأنه فيما يُروى أخذ حجرا؛ ليرمي به رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[٣].

(٢) القول الثاني: أن (تبَّت) بمعنى: خسِرت[٤]، والتباب هو: الخسران المفضي إلى الهلاك[٥].

(٣) القول الثالث: أن (تبَّت) بمعنى: خابت[٦]؛ لأن أبا لهب كان يدفع القوم عن النبي –صلى الله عليه وسلم– بقوله: "إنه ساحر"، فينصرفون عنه قبل لقائه؛ لأنه كان شيخ القبيلة، وكان له كالأب فكان لا يُتَّهم، فلما نزلت السورة وسمع بها غضب، وأظهر العداوة الشديدة فصار مُتَّهما، فلم يقبل قوله في الرسول بعد ذلك، فكأنه خاب سعيه، وبطل غرضه[٧].

(٤) القول الرابع: أن (تَبَّتْ) بمعنى: ضَلَّتْ[٨].

(١) الكشاف، (٨١٣/٤)، وروح المعاني، (٤٩٦/١٥)، (بتصرف يسير).
(٢) يُقال: عَجَزَتِ المرأةُ وعَجّزتْ: إذا صارت عجوزًا. انظر: فتوح الغيب، (٦٢٢/١٦).
(٣)تفسير النسفي (٦٩١/٣).
(٤) انظر: جامع البيان (٦٧٥/٢٤)، ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبى إسحاق الزجاج، (٣٧٥/٥)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، (٣٤٧٣/١٠).
(٥) مفاتيح الغيب، (٣٤٩/٣٢)، (بتصرف يسير).
(٦) تفسير القرطبي، (٢٣٥/٢٠)، والبحر المحيط، (٥٦٥/١٠).
(٧) مفاتيح الغيب، (٣٤٩/٣٢)، (بتصرف يسير).
(٨) تفسير القرطبي، (٢٣٥/٢٠)، (بتصرف يسير).

(٥) القول الخامس: أن (تبَّت) بمعنى: غُلِبَتْ؛ لأن أبا لهب كان يعتقد أن يده هي العليا، وأنه يخرج الرسول –صلى الله عليه وسلم– من مكة ويذله ويغلب عليه[١].

(٦) القول السادس: أن (تبَّت) بمعنى: صفِرت يداه مِن كل خير[٢].

المناقشة والترجيح:

وبعد عرض الأقوال الواردة في معنى: (تَبَّتْ)، أرى أنه لا تعارض بينها، فهي أقوال متقاربة، وكلها محتملة، ويمكن الجمع بينها؛ وذلك عملا بما يأتي:

(أ) إعمال القولين أولى من إهمال أحدهما والعمل بالآخر؛ فلا يصار إلى الترجيح إلا إذا تعذّر الجمع بين الأقوال، ولا تعذُّر هاهنا [٣].

(ب) تقديم العمومي على الخصوصي؛ فإنّ العمومي أولى؛ لأنه الأصل، إلّا أن يدل دليل على التخصيص[٤]، ولا دليل هنا على التخصيص. والله أعلم.

هل قوله تعالى في شأن أبي لهب: (...وَتَبَّ) دعاء أم إخبار؟

(١) أنه أخرج فعل (تَبَّتْ) مخرج الدعاء عليه[٥]، كقوله: (قُتِلَ الْإِنْسانُ مَا

(١) مفاتيح الغيب، (٣٤٩/٣٢)، (بتصرف يسير).

(٢) المرجع السابق، والبحر المحيط، (٥٦٥/١٠).

(٣) الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي)) لتقي الدين أبى الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي، وولده تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب ، (٢١٠/٣-٢١١)، (بتصرف كثير).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، (١٩/١).

(٥) القول بأن قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ) دعاء والداعي هو الله –سبحانه وتعالى–

أَكْفَرَهُ) [عَبَسَ: ١٧]، وأُخرج الثاني -(تبَّ)- مخرج الخبر، أي: كان ذلك وحصل(١).

(٢) (وَتَبَّ): وهلك كله، أو جُعِلت يداه هالكتين. والمراد: هلاك جملته، كقوله تعالى: (بِما قَدَّمَتْ يَداكَ)] الحج: ١٠]، ومعنى: (وَتَبَّ): وكان ذلك وحصل(٢). وذلك كما تَقُولُ للرجل: أهلكك اللَّه، وَقَدْ أهلكك، أو تقول: جعلك الله صالحا، وقد جعلك. ويقوي هذا قراءة ابن مسعود -

والمدعو هو -جل جلاله-، فيه نظر؛ إذ كيف يستقيم أن يكون الداعي هو المدعو؟ وما المقصد من ذلك؟ أليس الأعلى إدراكا أن هذا إنباء بأن ذلك له من الله -تعالى-، وأنه متحقق لا محالة؟ وللعلماء في مثل هذا مسالك، أهمها: (أ) أن هذا مسلك من مسالك التعجيب من أحوال من يُتحدث عنه، وأنه قام مقاما يستحق به الهلاك والخسران الكامل المبين، فأعجبوا من ضلاله وحمقه الذي بلغ به هذا المبلغ. فهو في صورة الدعاء الذي هو إنشاء طلبي، ولكنه في حقيقته تعجيب، أي: حمل السامع على أن يتعجب من حاله، والتعجيب إنشاء غير طلبي. وفي هذا من التفظيع لحاله؛ تنفيرا من مقاربته، فمن كان هذا حاله، فأنَّى لعاقل أن يُقاربهم، بله أن يخادنهم؛ إن هذا لهو الضلال المبين والمبير. (ب) أن هذا فيه تعليم للمؤمن أن يدعو عليه بهذا، وهذا يُفهم منه أن من دعا على أحد بمثل هذا، فهو شديد النفرة من حاله وسياقه ومناخه، وهو إلى مباغضة منهاجه جد عظيم، فكأنه يحملهم إلى متاركة مناهجه ومجانبته، وأن يُعلنوا بالدعاء عليه بهذا؛ كيما تشتد المفاصلة بينهم، والدعاء على الظلوم من أسلحة المؤمن التي لا تخيب، ومن كره أو منع الدعاء على الظالمين فكأنه رضي بالظلم، أو كأنه يعترف بأنه ظالم فكره أو منع من الدعاء عليه. انظر: أسرار البلاغة القرآنية في سورة تبت يدا أبي لهب، (ص: ٧١-٧٢)، (بتصرف يسير).

(١) مفاتيح الغيب، (٣٢/٣٥٠)، (بتصرف كثير).

(٢) الكشاف، (٤/٨١٣).

رضى الله عنه–: (وقد تبَّ) [١]، وهي قراءة تفسيرية، ويقال في مثلها: هذا تفسير، لا تلاوة.

(٣) وقيل: إن كُلًّا منهما إخبار، ولكن أُريد بالأولِ: هلاكُ عملِه، وبالثاني هلاكُ نفسِه، ووجهُهُ: أن المرءَ إنما يسعى لمصلحةِ نفسِه وعملِه، فأخبرَ اللهُ –تعالى– أنه محرومٌ من الأمرين[٢].

(٤) وقيل: (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ) يَعْنِي: مَالَهُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: ذَاتُ الْيَدِ، وَتَبَّ هُوَ بِنَفْسِهِ، كَمَا يُقَالُ: (...خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ...) [الزمر: ١٥] [٣].

(٥) وقيل: (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ) يَعْنِي: نَفْسَهُ، (وَتَبَّ) يَعْنِي: وَلَدَهُ [٤]، عَلَى مَا رُوِيَ أنه كَانَ لَهَبُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ يَسُبُّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ»، فَخَرَجَ فِي قَافِلَةٍ يُرِيدُ الشَّامَ فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالُوا لَهُ: كَلَّا، فَحَطُّوا مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ، وَقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ، فَجَاءَ الْأَسَدُ فَانْتَزَعَهُ فَذَهَبَ بِهِ[٥].

(٦) وقيل: (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ)؛ حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ رَبِّهِ، (وَتَبَّ). حَيْثُ لَمْ

(١) معانى القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي المعروف بالفراء، (٢٩٨/٣)، (بتصرف كثير).

(٢) مفاتيح الغيب، (٣٥٠/٣٢)، (بتصرف يسير).

(٣) المرجع السابق، (بتصرف يسير).

(٤) المرجع ذاته، (بتصرف كثير).

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه، (٥٨٨/٢)، حديث رقم (٣٩٨٤)، من حديث أبي عقرب، وقال الحاكم: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

يَعْرِفْ حَقَّ رَسُولِهِ –صلى الله عليه وسلم–[1].

المناقشة والترجيح:

والراجح –والله أعلم– أن هذا الخبر على حقيقته، وأنه خبر مطلق، لم يخرج عن حقيقته إلى الدعاء... فأبو لهب قد وقع عليه الهلاك فعلا، وحلَّ به البلاء منذ اتخذ من النبي –صلي الله عليه وسلم–، ومن الدعوة الإسلامية، هذا الموقف الأثيم الضال... لقد ركب الطريق الذي لا نجاة لسالكه، ولا سلامة لسائر فيه، وكذلك امرأته التي ركبت معه هذا الطريق، وعلقت فيه حبالها بحباله[2].

فلما كان الفعل الأول –تبّت– محتملا الخبر، وقد يمحو الله ما يشاء ويثبت، أو يحمل على الذم والتقبيح، أو يُحمل على غير ذلك= جاء قوله: (وَتَبَّ)؛ لبيان أنه واقع به لا محالة، وأنه ممن حقت عليهم كلمات ربك؛ ليبأس –صلى الله عليه وسلم–، والمسلمون من إسلامه، وتتقطع الملاطفة معه، والله تعالى أعلم[3].

وهذا الترجيح يساعده النظمُ؛ لأن ما بعدَه بيانٌ وتفسير؛ فإنّ قولَه –سبحانه وتعالى–: {سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ}، إشارةٌ إلى هلاكِ نفسِه[4].

ومن المقرر أنه لا يجوز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها[5]. وقد ذكر الإمام ابن جُزي الكلبي هذه القاعدة ضمن قواعد الترجيح، فقال: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله

(١) مفاتيح الغيب، (٣٢/٣٥٠).

(٢) التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، (١٦/١٧٠٥).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (٩/١٤٥)، (بتصرف كثير).

(٤) فتوح الغيب، (١٦/٦٢٣)، (بتصرف كثير).

(٥) جامع البيان (٩/٣٨٩)، (بتصرف كثير).

أو ما بعده" [١].

وإذا ثبت هذا، فإن الذي تميل إليه النفس هو القول بأن هذا خبر على حقيقته، والله أعلم.

خامسًا: بعض الأوجه البلاغية التي اشتملت عليها الآية الكريمة:

(١) براعة الاستهلال في افتتاح السورة الكريمة؛ حيث استهلت بالتباب، وهذا فيه إشعار بأنها نزلت؛ لتوبيخ ووعيد، فذلك براعة استهلال، مثل ما تفتتح أشعار الهجاء بما يؤذن بالذم، ومنه قوله تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) [المطففين: ١]؛ إذ افتتحت السورة المشتملة على وعيد المطففين للفظ الويل[٢].

(٢) التعبير بصيغة الماضي في قوله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}؛ إشعارًا بتحقق وقوعه[٣]، وهذا كقوله تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...) [النحل: ١].

(٣) إيثار التعبير بالتبِّ بدلا من الخسران؛ لأن التبَّ هو الاستمرار في الخسران؛ فهو خسران لا يتناهى: ينتقل صاحبه من خسران إلى خسران أشد وأعتى؛ لذا لا يستقيم بلاغة أن يُقال: خسرت يدا أبي لهب وخسر؛ لأن هذا لا يلائم حال أبي لهب، فاستعمال فعل (التبِّ) هنا مطابقٌ حال أبي لهب في مسيره ومصيره[٤].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

(٢) التحرير والتنوير، (٣٠/٦٠٠)، (بتصرف كثير).

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة/ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، (٣٢/٤٣٢).

(٤) أسرار البلاغة القرآنية في سورة (تبّت يدا أبي لهب)، المؤلف: أ.د/ محمود توفيق

(٤) إسناد التباب إلى اليدين: من إسناد ما للكُلِّ إلى الجزء، فذلك مجاز عقلي[١]. أو اليدان بمعنى: الكُلِّ، أي: تبّت نفسُ أبي لهب، أو ذات أبي لهب، فالمجاز مرسل، والإسناد حقيقة[٢]. قلت: ولا مانع من أن يُراد باليدين هنا: النفس والذات معًا. وقيل: لَمَّا قال أبو لهب للرسول –صلى الله عليه وسلم– تبًّا لكَ ألِهذَا دعوتَنَا[٣]، أخذ بيديه حجرا؛ ليرمي به الرسول –صلى الله عليه وسلم–، فأسند التب إليهما[٤].

(٥) التكنية بأبي لهب: كُني بأبي لهب في الأصل؛ لحسنه وإشراق وجهه، ولم يذكره الله –تعالى– باسمه؛ لأن اسمه عبد العُزّى، فعدل عنه إلى الكنية، أو لأن الكنية كانت أغلب عليه من الاسم، أو لأن مآله إلى النار[٥]، فوافقت حالته كنيته، كما يقال للشرير: أبو الشر، وللخير أبو

محمد سعد، (ص: ٧١)، (بتصرف يسير).

(١) المجاز العقلي هو: هو إسنادُ الفعل، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له. وله عدة علاقات. انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، (ص: ٢٥٥)، (بتصرف يسير).

(٢) المجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير (المشابهة)، مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الوضعي. وله علاقات كثيرة، والعلاقة هنا: الجزئية. جواهر البلاغة، (ص: ٢٥٢–٢٥٥)، (بتصرف يسير).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود محمد بن محمد العمادي، (٢١٠/٩).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٥٦٦/١٠)، (بتصرف يسير).

(٥) وقيل: إنه لما كان من أهل النار واللهب، كنّاه الله –تعالى– أبا لهب؛ ولينا سب ذلك

الخير، أو لأن الاسم أشرف من الكنية، فعدل إلى الأنقص؛ ولذلك ذكر الله -تعالى- الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بأسمائهم، ولم يُكَنّ أحدا منهم[١]. وقيل: إن اسمه وكنيته سيَّان، فَعُدلَ إلى الكنيةِ، ولو سُمّي لجاز[٢].

(٦) إتيان الجملة الفعلية (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) مجردة من التوكيد؛ فلم يقل: لقد تبَّت يدا أبي لهب؛ لفتا إلى أن هذا النبأ هو الحق والصدق واليقين، فلا يفتقر إلى التأكيد، ففيه ما يغنيه عن توكيده من خارجه، ألا ترى أن التعبير عنه بـ(أبي لهب) من أعظم المؤكدات على استحقاقه هذا التبّ، فإذا ما كان أبا لهب، فما الذي يكون مصيره في منطق العقل الفِطري؟ أليس عُقبى اللهب والهلاك والفناء؟! فكيف بأبي لهب؟![٣]

(٧) رد العجُز على الصدر[٤] بين المفردتين المتجانستين[١]: (تبَّتْ)، وقوله

قوله: (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ). انظر: التسهيل لعلوم التنزيل أو تفسير ابن جزى لأبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبى الغرناطي، (٥٢١/٢)، (بتصرف يسير).

(١) البحر المحيط في التفسير، (٥٦٦/١٠).

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبي علي الكشاف لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، (٦٢٦/١٦).

(٣) أسرار البلاغة القرآنية في سورة (تبّت يدا أبي لهب)، (ص: ٧٧)، (بتصرف يسير).

(٤) رد العجزُ على الصَّدر: (في النثر) هو أن يُجعلَ أحدُ اللّفظين المُكرّرين، أو المُتجانسين، أو المُلحقين بهما «بأن جمعهما اشتقاق أو شبهُه» في أول الفقرة، ثم تعادُ في آخرها، كقوله تعالى: (... وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...) [الأحزاب: ٣٧]- وقولك: «سائل» اللئيم يرجع؟ ودمعه «سائل»، فسائل الأول: من السؤال، وسائل الثاني: من السَّيلان، ونحو قوله تعالى: (... اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ

(وَتَبَّ)[٢].

(٨) التنوع –في الجملتين– بين الخبرية والإنشائية؛ فقيل: المرادُ بالفعل الأولِ: هلاكُ جملتِه، كقولِه تعالَى: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة}، ومَعْنى وتَبَّ: وكانَ ذلكَ وحصلَ، وقيلَ: الأولُ إخبارٌ عن هلاكِ عملِه؛ لأنَّ الأعمالَ تزاولُ غالباً بالأيدِي، والثاني إخبار عن هلاك نفسه، وقيل: الأول دعاء، والثاني إخبار. وقيل: كلاهما دعاء عليه بالهلاك[٣].

سادسا: ما يؤخذ من الآية الكريمة:

(١) بيان خطورة الكلمة، وأنها تودي بصاحبها إلى الهاوية= كما حدث لأبي لهب.

(٢) ليست كل قرابة نافعة، فقد يكون القريب أشد الناس إيذاء للإنسان= كما كان أبو لهب.

(٣) دفاع الله عن رسوله –صلى الله عليه وسلم–؛ ونصره له على أعدائه، مصداقا لقوله تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) [غافر: ٥١].

غَفَّارًا) [نوح: ١٠]، واللّذان يجمعهما شبه اشتقاق – نحو قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) [الشعراء: ١٦٨]. انظر: جواهر البلاغة، (ص: ٣٣٣).

(١) الجناس هو: تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى، وهو ينقسم إلى نوعين: لفظي – ومعنوي، وتحت كل منهما أقسام. انظر: جواهر البلاغة، (ص: ٣٢٥–٣٣٥)، (بتصرف يسير).

(٢) قلت: وإيراد هذا الوجه البلاغي في هذه الآية الكريمة من فتح الله –تعالى– عليَّ.

(٣) إرشاد العقل السليم، (٩/٢١٠)، (بتصرف كثير).

المطلب الثاني

ضياع كسب أبي لهب وأمره

قال الله –تعالى–: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) (٢)

أولا: اللغة

أغنى: يقال: غَنِيَ به عنه غُنْيَةٌ. وغَنِيَتِ المرأة بزوجها غُنْياناً، أي: استغنت. وغَني، أي: عاش. وأغْنيتُ عنك مغنى فلان ومغنى فلان، ومغناة فلان ومغناة فلانٍ، إذا أجزأت عنك مُجْزَأَهُ. ويقال: ما يُغني عنك هذا، أي: ما يجزئ عنك وما ينفعك. والغانِيَةُ: الجارية التي غَنِيَتْ بزوجها، وقد تكون التي غنيت بحسنها وجمالها. والغَناء، بالفتح: النفع(١). وغَنِيَ بالمَكانِ: أَقام بِهِ، غِنًى(٢). وجعل الله فلانا غَنِيا أَي: ذَا مَال ووفر(٣).

الْمالُ فِي الْأَصْلِ: مَا يُمْلَكُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى كُلِّ مَا يُقْتَنَى وَيُمْلَكُ مِنَ الْأَعْيَانِ. وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ المَالُ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِبِلِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْوَالِهِمْ.

ومَالَ الرّجلُ وتَمَوَّلَ، إِذَا صَارَ ذَا مَالٍ. وَقَدْ مَوَّلَهُ غَيْرُهُ. وَيُقَالُ: رَجُل مَال: أَيْ: كَثِيرُ الْمَالِ، كَأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ مَالًا، وَحَقِيقَتُهُ: ذُو مَالٍ(٤). ويقال: تَمَوَّلَ

(١) الصحاح، باب (الواو والياء).، فصل (الغين)، مادة (غنى)، (٢٤٤٩/٦)، (بتصرف بالحذف).

(٢) تاج العروس، باب (الواو والياء)، فصل (الغين)، مادة (غنى)، (٢٩/٢٠).

(٣) المعجم الوسيط، باب (الغين)، (٦٦٤/٢)، (بتصرف يسير).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، باب (الميم مع الواو)، مادة (مَوَلَ)، (٣٧٣/٤).

فلانٌ مالًا إذا اتَّخَذَ قَيْنةً[1] [2].

الْكَسْبُ: طلب الرِّزق. وأصله الجمع، تقول منه: كَسَبْتُ شيئاً واكْتسبْته بمعنًى[3]. وقيل: كَسب: أصاب، وأما اكتسب فتصرَّف وطَلب واجتهد[4]. وقيل: الكسب يكون لنفسه ولغيره، أما الاكتساب فلا يكون إلا للنفس خاصة [5].

ويُقال: كسب الشَّيْء إذا جمعه، وكسب الْمَال كسبا: ربحه، فَهُوَ كاسب[6].

ثانيا: القراءات:

قوله تعالى: (ما أغنى عنه ماله وما كسب)

قرأ حمزة والكسائي وخلف والأعمش (ما أغنى) بالإمالة محضة[7].

(١) القينة: الأَمَةُ مغنّيةً كانت أو غير مغنّيةٍ. الصحاح، باب (النون)، فصل (القاف)، مادة (قين)، (٢١٨٦/٦).

(٢) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبى الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، فصل (الميم)، مادة (مول)، (٦٣٦/١١).

(٣) الصحاح، باب (الباء)، فصل (الكاف)، مادة (كسب)، (٢١٢/١).

(٤) الكتاب، المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسيبويه، (٧٤/٤)، (بتصرف كثير).، وانظر: تاج العروس، باب (الباء)، فصل (الكاف)، مادة (كسب)، (٣٧٢/٢)، (بتصرف يسير).

(٥) معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ص: ٤٥٢).

(٦) المعجم الوسيط، باب (الكاف)، (٧٨٦/٢)، (بتصرف كثير).

(٧) المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه / موجز في ياءات الإضافة بالسور، المؤلف: عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشَّار الشافعي المصري، (ص: ٥٤٩)، وانظر: إتحاف فضلاء البشر في

وقرأ بالفتح والتقليل الأزرق وورش، وقرأ الباقون بالفتح[١].

وقُرِئَ عن الأعمش: (ما أُغْنِيَ) بضم الهمزة وكسر النون وفتح الياء[٢]، وهي قراءة شاذة.

وقرأ الجماعة: (وما كسَب) [٣].

وقرأ ابن مسعود وأُبي بن كعب والأعمش -رضي الله عنهم-: (وما اكتسب)، بتاء الافتعال [٤].

ثالثا: الإعراب:

(مَا أَغْنَى): (مَا): إما أن تكون استفهامية في موضع نصب بـ(أَغْنى)[٥]، وإما أن تكون نافية[٦][٧]. و(أَغْنَى): فعل ماض مبني على الفتح الْمُقَدَّر، منع من ظهوره التعذُّر.

القراءات الأربعة عشر، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء، (ص: ٦٠٦)، وانظر: معجم القراءات، (ص: ٦٢٨).

(١) انظر: المكرر (ص: ٥٤٩)، ومعجم القراءات، (ص: ٦٢٩).

(٢) شواذ القراءات، المؤلف: رضي الدين شمس القراء أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، (ص: ٥٢٦)، (بتصرف يسير).

(٣) معجم القراءات، (٦٢٩/١٠)، (بتصرف يسير).

(٤) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٨٢)، والمحرر الوجيز (٥٣٤/٥).

(٥) التفسير المنير، (٤٥٥/٣٠)، (بتصرف يسير).

(٦) إعراب القرآن للأصبهاني، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، (ص: ٥٦٠).

(٧) وهذا هو الظاهر عند الإمام أبي حيان. انظر: البحر المحيط في التفسير، (٥٦٦/١٠).

(عَنْهُ): جاء ومجرور، متعلقان بـ(أغنى)[١].

(مَالُهُ): مَالُ: فاعل مرفوع بالضمة، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم، في محل جر مضاف إليه.

(وَمَا كَسَبَ): الواو: عاطفة. و(مَا): يجوز فيها أن تكون مصدرية أو موصولة[٢] بمعنى: كسبه أو مكسوبه، ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة المحل بما بعدها، أي: أيّ شيء كسب؟[٣] ويجوز أن تكون موصوفة، أي: وشيء كسبه[٤]. و(كسَبَ): فعل ماض مبني على الفتح. والفاعل ضمير مستتر.

وجملة: ((مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ) استئنافية لا محل لها من الإعراب، وجملة: «ومَا كسَب) لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ (ما)[٥]، أو معطوفة على الجملة الاستئنافية، لا محل لها أيضا.

رابعا: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها:

لما أوقع سبحانه الإخبار بهلاك أبي لهب على هذا الوجه المؤكد لما كان لصاحب القصة وغيره من الكفار من التكذيب بلسان حاله وقاله لما له من

(١) إعراب القرآن وبيانه، المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (٦١١/١٠)، (بتصرف يسير).

(٢) وهذا هو الظاهر عند الإمام أبي حيان، أي: كونها موصولة. انظر: البحر المحيط في التفسير، (٥٦٧/١٠).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، (٦١١/١٠).

(٤) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المؤلف: المنتجب الهمذاني، (٤٨٢/٦)، (بتصرف يسير).

(٥) الجدول في إعراب القرآن، (٤٢٢/٣٠).

المال والولد، وما هو فيه من القوة بالعَدد والعُدد، زاد الأمر تحققاً إعلاماً بأن الأحوال الدنيوية لا غناء لها، فقال: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ ...)، ولما كان الكسب أعم من المال، وكان المال قد يكسب منافع هي أعظم منه من الجاه وغيره، وكان الإنسان قد يكون فائزاً ولا مال له بأمور كثَّرها بسعيه خارجة عن المال، قال مفيداً لذلك مبيناً أنه لا ينفع إلا ما أمر الله به: {ومَا كَسَب}[١].

خامسا: التفسير والبيان:

اختُلف في المراد من المال والكسب في قوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)، فقيل: مالُهُ: يعني: أغنامه، وكان صاحب سائمة ومواش[٢]. (وَمَا كَسَبَ) وهم ولده[٣]، أَيْ: إِذَا صَارَ إِلَى النَّارِ[٤]. وما موصولة أو مصدرية بمعنى: ومكسوبه. أو: وكسبه. والمعنى: لم ينفعه ماله وما كسب بماله، يعنى: رأس المال والأرباح. أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها. أو مالُه الذي ورثه من أبيه، والذي كسبه بنفسه. أو ماله التالد[٥] والطارف[٦]. وقيل: ما

(١) نظم الدرر، (٣٣٥/٢٢)، (بتصرف كثير).

(٢) الكشف والبيان (٣٢٥/١٠).

(٣) جامع البيان، (٦٧٧/٢٤).

(٤) تفسير القرآن العزيز لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، (١٧١/٥).

(٥) التَّالد أو التَّليد أو التِّلاد: كلُّ مالٍ قديمٍ من حيوان وغيره يُورَث عن الآباءِ، وهو نَقيض الطارفِ. تاج العروس، باب (الدال)، فصل (التاء)، مادة (تلد)، (٣٦٩/٤)، (بتصرف يسير).

(٦) الطارف أو الطريف هنا: المستحدث، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ شَيْءٌ أُفِيدَ الْآنَ فِي طَرَفِ زَمَانٍ قَدْ مَضَى. يَقُولُونَ مِنْهُ: اطَّرَفْتُ الشَّيْءَ، إِذَا اسْتَحْدَثْتَهُ، أَطَّرِفُهُ، اطِّرَافًا. مقاييس اللغة،

كسب ولده. وقيل: ما ينفعه ماله وعمله الخبيث، يعنى: كيده في عداوة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. وقيل: عمله الذي ظن أنه منه على شيء، كقوله: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) [الفرقان: ٢٣]، وروي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدى منه نفسي بمالي وولدي[١]. وقيل: ماله جميع ماله وما كسب[٢][٣].

المناقشة والترجيح:

وبعد عرض الأقوال الواردة في معنى المال والكسب هنا، أرى أنه لا تعارض بينها، فهي أقوال متقاربة، وكلها محتملة، ويمكن الجمع بينها؛ وذلك عملا بما يأتي:

(١) إعمال القولين أولى من إهمال أحدهما والعمل بالآخر؛ فلا يصار إلى الترجيح إلا إذا تعذّر الجمع بين الأقوال، ولا تعذُّر هاهنا [٤].

كتاب (الطاء)، باب (الطَّاءِ وَالرَّاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا)، مادة (طرف)، (٤٤٨/٣)، (بتصرف يسير).

(١) الكشاف، (٨١٤/٤–٨١٥).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (٥٢١/٢).

(٣) وقد طرح الإمام الفخر الرازي سؤالا ذيَّل به تفسير هذه الآية الكريمة، وتولَّى الإجابة بنفسه، فقال: ما أغنى عنه ماله وكسبه فيما ذا؟ الْجَوَابُ: قَالَ بَعْضُهُمْ فِي عَدَاوَةِ الرَّسُولِ –صلى الله عليه وسلم–، فَلَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يُغْنِيَا عَنْهُ فِي دَفْعِ النَّارِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: (سَيَصْلَى). مفاتيح الغيب، (٣٥٢/٣٢).

(٤) الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي)) لتقي الدين أبى الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي، وولده تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب ، (٢١٠/٣–٢١١)، (بتصرف كثير).

(٢) تقديم العمومي على الخصوصي؛ فإنّ العمومي أولى؛ لأنه الأصل، إلّا أن يدل دليل على التخصيص[١]، ولا دليل هنا على التخصيص. والله أعلم.

سادسا: بعض الأوجه البلاغية التي اشتملت عليها الآية الكريمة:

(١) التفصيل بعد الإجمال؛ حيث جاء قوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) مفصِّلا قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) ومفسرًا له[٢].

(٢) صياغة الآية الكريمة على نهج الْمُضِيِّ، بينما صيغت الآية التالية لها (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) على نهج الاستقبال، وكان يُمكن أن يُقال في غير القرآن: لن يغني عنه مالُه وما كسب، فيكون على نهج ما بعده، أو يجعل ما بعده على نهجه، فيقع التناظر والتشاكل في الصيغة؛ لكن البيان القرآني عدل فجعل (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) على نهج الْمُضي؛ لأن هذا متحقق في الدنيا، وواقع بين أعين الملأ؛ فلا سبيل إلى إنكاره، فلم يُغن عنه ماله شيئا، ولم ينفعه كسبه البتة[٣].

(٣) تقديم الجار والمجرور (عَنْهُ) على الفاعل (مالُه)؛ اهتماما بالمقدَّم، وتشويقا للمؤخَّر.

سابعا: ما يؤخذ من الآية الكريمة:

(١) أن حُسن الصورة وكثرة الأموال والأولاد لا تغني عن الإيمان والعمل الصالح؛ حيث لَمْ يُغْنِ عن أبي لهب جمال صورته ولا مالُه ولا ولده

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١٩/١).
(٢) أسرار البلاغة القرآنية في سورة (تبّت يدا أبي لهب)، (ص: ٨٣)، (بتصرف يسير).
(٣) المرجع السابق، (ص: ٨٧)، (بتصرف يسير).

شيئا، مع كفره، وأعماله السيئة.

(٢) أن من أبطأ به عمله، لم يُسرع به نسبه.

المطلب الثالث

بيان العاقبة السيئة لأبي لهب

قال تعالى: (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) [المسد: ٣]

أولا: اللغة

والصَّلا: الحَطَبُ. والصَّلا: النار، وصَلَى الكافرُ ناراً فهو يَصْلاها، أي: قاسَى حَرَّها وشِدَّتَها[(١)]، ويقال: صَلَيت اللحم إذا شَويته، ويقال أيضاً: صَلَيْتُ الرجل ناراً، إذا أدخلته النار وجعلته يَصْلاها. فإن ألقيته فيها إلقاءً كأنَّك تريد إحراقه، قلت: أَصْلَيْتُهُ بالألف، وصَلَّيْتُهُ تَصْلِيَةً. ويقال أيضا: صلِيَ بالأمر؛ إذا قاسى حرّه وشدَّته[(٢)]. والصَّلا: اسمٌ للوَقود إذا اصطَلَى به القوم[(٣)].

والنَّارُ: تُقال للَّهيب الّذي يَبْدُو للحاسَّة، وقد تُطْلَق على الحَرَارَة المُجرّدة، وتُطْلَق على نارِ جَهَنَّم[(٤)]، مأخوذة من (نَوَرَ)، والنُّونُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِضَاءَةٍ وَاضْطِرَابٍ وَقِلَّةِ ثَبَاتٍ. مِنْهُ النُّورُ وَالنَّارُ، سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ طَرِيقَةِ

(١) العين، باب (الصاد واللام و (وأ يء) معهما وص ل، ص ل و، ل ص و، ص ل ي، ل وص، أص ل، ص ول مستعملات)، (١٥٤/٧).

(٢) الصحاح، باب (الواو والياء)، فصل (الصاد)، مادة (صلا)، (٢٤٠٢/٦-٢٤٠٤).

(٣) العين، باب (الصاد واللام و (وأ يء) معهما وص ل، ص ل و، ل ص و، ص ل ي، ل وص، أص ل، ص ول مستعملات)، (١٥٥/٧).

(٤) كما تُطلق النار على عدة إطلاقات. انظر: تاج العروس، باب (الراء)، فصل (النون)، مادة (نور)، (٥٦٥/٧).

الْإِضَاءَةِ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ مُضْطَرِبًا سَرِيعَ الْحَرَكَةِ. وَتَنَوَّرْتُ النَّارَ: تَبَصَّرْتُهَا[١].

ويقال: بينهم نائرة، أي: عدواة وشَحْناء[٢].

ذَات: مؤنث ذُو بِمَعْنى: صَاحب، وَيُقَال: لَقيته ذَات يَوْم ولقيته ذَات مرّة: فِي يَوْم أَو مرّة، وَمَا كلَّمت فلَانا ذَات شفة: كلمة، وَوضعت الْمَرْأَة ذَات بَطنهَا: ولَدت، وَقلَّت ذَات يَده: مَا ملكت يَدَاهُ، وَأَصْلح ذَات بَينهم: الْحَال الَّتِي بهَا يتصافون، وَجلسَ ذَات الشمَال وَذَات الْيَمين جِهَتهَا، وَذَات الشَّيْء: حَقِيقَته وخاصته[٣]. وتقدَّم معنى اللهب عند ذكر المعاني اللغوية للمفردات الواردة في قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)).

ثانيا: القراءات:

قَرَأَ الْجُمْهُورُ: «سَيَصْلَى» بِفَتْحِ الْيَاءِ وَإِسْكَانِ الصَّادِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ، أَيْ: سَيَصْلَى هُوَ بِنَفْسِهِ النار، ويحترق بها [٤]. وَهذه القراءة هي الِاخْتِيَارُ؛ لِإِجْمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهَا[٥].

وإذا فتح ورش والأزرق غلَّظا اللام، وأمالا اللام إن رقَّقا [٦].

(١) مقاييس اللغة، كتاب (النون)، باب (النُّونِ وَالْوَاوِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا)، مادة (نور)، (٣٦٨/٥).

(٢) الصحاح، باب (الراء)، فصل (النون)، مادة (نور)، (٨٣٩/٢).

(٣) المعجم الوسيط، باب (الذال)، (٣٠٧/١).

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، (٤٩٣/١٥).

(٥) تفسير القرطبي، (٢٣٨/٢٠).

(٦) البدور الزاهرة، (ص: ٣٤٨)، وانظر: معجم القراءات (٦٢٩/١٠-٦٣٠)، (بتصرف يسير).

وقُرِئَ: (سَيُصْلى)[1]، بضم الياء وسكون الصاد وفتح اللام، مبنيا للمفعول[2]. وقُرِئَ أيضا: (سَيُصَلَّى) [3] بِضَمِّ الْيَاءِ، وَفَتْحِ الصَّادِ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ[4]، وَمَعْنَاهَا: سَيُصْلِيهِ اللَّهُ[5].

واتفقوا على فتح الهاء في (ذات لَهَب)؛ لأنه في الفاصلة[6]. وقيل: هو من التغيير في الإعلام؛ لئلا يلتبس بمعناها الأصلي، كقولهم فيمن اسمه (شَمْس): شُمس بضم الشين[7].

ثالثا: الإعراب:

(سيَصْلَى): السين: حرف تنفيس، يدخل على الفعل المضارع، فيخلصه

(١) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٨٢).

(٢) قَرَأَ بها: أَبُو رَجَاءٍ وَالْأَعْمَشُ وابن أبي عبلة، وَرَوَاهَا مَحْبُوبٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَحُسَيْنٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ، وَرُوِيَتْ عَنِ الْحَسَنِ، وقرأ بها ابن أبي إسحاق، وقرأ بها ابن مسعود -رضي الله عنه-. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٨٢)، وانظر: تفسير القرطبي (٢٣٨/٢٠). وانظر: البحر المحيط في التفسير (٥٦٧/١٠)، وانظر أيضا: معجم القراءات (٦٢٩/١٠).

(٣) وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٨٢).

(٤) وَقَرَأَ بها: أَبُو حَيْوَةَ وَابْنُ مِقْسَمٍ وَعَبَّاسٌ فِي اخْتِيَارِهِ، والأشهب العقيلي وأبو السّمّال ومحمد بن السّميقع وابن مسعود وابن كثير في رواية. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٨٢)، وانظر: تفسير القرطبي، (٢٣٨/٢٠) وانظر: البحر المحيط في التفسير (٥٦٧/١٠).

(٥) تفسير القرطبي، (٢٣٨/٢٠).

(٦) حاشية الشهاب (٤٠٨/٨).

(٧) الكشاف، (٨١٤/٤)، وحاشية الشهاب (٤٠٨/٨).

للاستقبال[١]، والسين هنا لتأكيد الاستقبال. و(يَصْلى): فعل مستقبل[٢] مرفوع بضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها التعذُّر.

والفاعل ضمير مستتر جوازًا، تقديره: هو، يعود على أبي لهب[٣].

(نَارًا): مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

(ذَاتَ): نعت لـ(نَارًا)[٤]، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، و(ذاتَ): مضاف، و(لَهَبٍ) مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

وجُمْلَة: (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) مستأنفة استئنافًا بيانيا؛ لا محل لها من الإعراب[٥].

رابعا: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها:

لما أخبر الله –تعالى– عن حال أبي لهب في الماضي بالتباب، وبأنه ما أغنى عنه ماله وكسبه، أخبر عن حاله في المستقبل بأنه سيصلى نارا[٦].

خامسا: التفسير والبيان:

هذه الآية الكريمة تشتمل على أمرين:

أحدهما: وعيد من الله حق عليه بكفره.

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، (ص: ٥٩)، (بتصرف يسير).

(٢) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، (ص: ٢٢٣)، (بتصرف يسير).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، (٦١١/١٠)، (بتصرف كثير).

(٤) المرجع السابق، (٦١١/١٠)، (بتصرف يسير).

(٥) الجدول في إعراب القرآن، (٤٢٢/٣٠)، (بتصرف يسير).

(٦) مفاتيح الغيب، (٣٥٢/٣٢)، (بتصرف يسير).

الثاني: إخبار منه تعالى بأنه سيموت على كفره، وكان خبره صدقاً، ووعيده حقاً.

وفي قوله: {يَصْلَى} وجهان: أحدهما: صلي النار، أي: حطباً ووقوداً. الثاني: يعني تُصليه النار، أي: تنضجه، فيكون على الوجه الأول صفة له في النار، وعلى الوجه الثاني صفة للنار. وفي {ناراً ذاتَ لَهَبٍ} وجهان: أحدهما: ذات ارتفاع وقوة واشتعال، فوصف ناره ذات اللهب بقوتها؛ لأن قوة النار تكون مع بقاء لهبها. الثاني: ما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت من نذره ووعيده(١).

وانتزع أهل الأصول من هذه الآية تكليف ما لا يُطاق، وأنه موجود في قصة أبي لهب، وذلك أنه مخاطب مكلف أن يؤمن بمحمد –صلى الله عليه وسلم–، ومكلَّف أن يؤمن بهذه السورة وصحتها، فكأنه قد كُلّف أن يؤمن، وأن يؤمن أنه لا يؤمن، قال الأصوليون: ومتى ورد تكليف ما لا يطاق فهي أمارة من الله – تعالى– أنه قد حتم عذاب ذلك المكلف كقصة أَبِي لَهَبٍ(٢)(٣).

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (٦/٣٦٦-٣٦٧).

(٢) المحرر الوجيز، (٥/٥٣٥).

(٣) واستشكل أمر تكليف أبي لهب بالإيمان مع قوله تعالى: (سَيَصْلَى ناراً ذاتَ لَهَبٍ) بأنه بعد أن أخبر الله –تعالى– عنه بأنه سيصلى النار، لا بُد أن يصلاها، ولا يصلاها إلّا الكافر، فالإخبار بذلك يتضمن الإخبار بأنه لا يؤمن أصلا، فمتى كان مكلفا بالإيمان بما جاء به النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، ومنه ما ذُكر، لزم أن يكون مكلفا بأن يؤمن بأن لا يؤمن أصلا، وهو جمع بين النقيضين خارج عن حد الإمكان. وأجيب عنه بأن ما كلفه هو الإيمان بجميع ما جاء به النبيّ –صلى الله عليه وسلم– إجمالا، لا الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن الكريم حتى يلزم أن يكلف الإيمان

سادسا: بعض الأوجه البلاغية التي اشتملت عليها الآية الكريمة:

(١) التفصيل بعد الإجمال؛ حيث جاء قوله تعالى: (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) مفصِّلا قوله تعالى: (وتَبَّ) ومفسره. ومن جهة أخرى يُمكن أن نجعله كالنتيجة لقوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)؛ ذلك أنه إذا كان عدم الإغناء هذا هو مصيره في الدنيا، فإن مصيره في الآخرة أعتى. ولك أن تجعله استئنافًا بيانيا عن الجملة قبله، كأنه قيل: هذا جزاؤه في الدنيا، فما جزاؤه في الآخرة؟ فقيل: (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ). والوجهان يمثلان طريقا من طرق الوصل بين المعاني وصلا جوانيًّا، يُستغنى فيه من قوته عن عامل لفظي يحقق التواصل، وهذا ما يسميه البلاغيون: الفصل؛ لكمال الاتصال وشبهه[1]، فيجعلون ترك العطف

بعدم إيمانه المستمر، ويقال نحو هذا في الجواب عن تكليف الكافرين المذكورين في قوله تعالى: (قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ) [الكافرون: ١] إلخ، بالإيمان بناء على تعينهم مع قوله تعالى: (وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ) [الكافرون: ٣] إلخ، بناء على دلالته على استمرار عدم عبادتهم ما يعبد –صلى الله عليه وسلم–. وأجاب بعضهم بأن قوله تعالى: (سَيَصْلى) إلخ، ليس نصا في أنه لا يؤمن أصلا؛ فإن صلي النار غير مختص بالكفار، فيجوز أن يفهم أبو لهب منه أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره، ولا يجري هذا في الجواب عن تكليف أولئك الكافرين، بناء على فهمهم من السورة إرادة الاستمرار. وأجاب بعض آخر بأن من جاء فيه مثل ذلك وعلم به مكلف بأن يؤمن بما عداه مما جاء به –صلى الله عليه وسلم–. وقيل في خصوص هذه الآية: إن المعنى سيصلى نارا ذات لهب، ويخلَّد فيها إن مات ولم يؤمن، فليس ذلك مما هو نص في أنه لا يؤمن. روح المعاني، (١٥/٥٠١–٥٠٢)، (بتصرف كثير).

(١) كمال الاتصال هو: اتحادُ الجملتين اتحاداً تاماً: وامتزاجاً معنوياً – بحيث تُنزَّل الثانية من الأولى منزلةَ نفسها، بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى،

بالواو؛ للاستغناء عن عامل وصل خارجي فصلا لفظيا ووصلا معنويا[1].

(٢) الجناس التام بين {أَبِي لَهَبٍ} وبين {نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ}[2]، فالأول كُنية، والثاني وصف للنار[3].

نحو: (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) (الشعراء: ١٣٢-١٣٣)، أو: بأن تكون الجملة الثانية بيانا لإبهام في الجملة الأولى، كقوله تعالى: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) (طه: ١٢٠)، فجملة: (قال يا آدم): بيان لما وسوس به الشيطان إليه. أو: بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى (بما يشبه أن يكون توكيدا لفظياً أو معنوياً) كقوله تعالى: (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) (الطارق: ١٧)، وكقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)) (البقرة: ٨-٩)، فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه «ويوجب الفصل» . وأما شبه كمال الاتصال هو: كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى؛ لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتُفصلُ عنها، كما يفصل الجواب عن السؤال - كقوله تعالى: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ...) [يوسف: ٥٣]، فالجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى؛ لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى، لم لا تبرئ نفسك؟ ؟ فقال: (إن النفس لأمارة بالسوء)، فهذه الرابطة القوية بين الجملتين مانعة من العطف، فأشبهت حالة اتحاد الجملتين - وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال. انظر: جواهر البلاغة (ص: ١٨٣-١٨٤)، (بتصرف كثير).

(١) أسرار البلاغة القرآنية في سورة (تبّت يدا أبي لهب)، (ص: ٨٩)، (بتصرف يسير).

(٢) التحرير والتنوير، (٣٠/٦٠٥)، (بتصرف يسير).

(٣) صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، (٣/٥٩٣).

(٣) تنكير (نارًا)؛ للتهويل والتفظيع[١].

(٤) تنكير (لَهَبٍ)؛ للتفخيم والتهويل[٢].

سابعا: ما يؤخذ من الآية الكريمة:

حلول البلاء ووقوع الهلاك على أبي لهب، منذ اتخذ من النبي –صلي الله عليه وسلم–، ومن الدعوة الإسلامية، هذا الموقف الأثيم الضال.

المطلب الرابع

ذم امرأة أبي لهب

قال تعالى: (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) [المسد: ٤]

أولا: اللغة

الْمَرأة: تَأْنِيثُ المرء[٣]، والمرء: الرَّجُل، والمرأة: الأنثى[٤]. والْمُرُوءَة: آدَابٌ نَفْسَانِيَّةٌ تَحْمِلُ مُرَاعَاتُهَا الْإِنْسَانَ عَلَى الْوُقُوفِ عِنْدَ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْعَادَاتِ[٥]، أَو هِيَ كَمَال الرجولية[١].

(١) بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، إعداد/ بهجت عبد الواحد الشيخلي، (٧٣٣/١٠)، (بتصرف يسير).

(٢) الميزان في تفسير القرآن، المؤلف: السيد محمد حسين الطباطبائي، (م ٣٨٥/٢٠)، (بتصرف يسير).

(٣) العين، ، باب (اللّفيف من الرّاء ورء، ور ي، وء ر، ء ر ي، ء ي ر، ء ر ر، ي ر ر، ور ا، ء ور، ر ي ر، رء رء، رء ي، ر وي، ر ي أ، ر وء مستعملات)، مادة (مرأ)، (٢٩٩/٨).

(٤) مجمل اللغة لابن فارس، كتاب (الميم)، باب (الميم والراء وما يثلثهما)، (٨٢٨/١).

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي

حَمَّالَة: الْحَمْلُ: ما كان في بطن أو على رأس شجرة، والحِمْلُ: ما حُمِل على ظهرٍ أو رأسٍ[٢]. وحَمَله على الْأَمر يَحْمِلُه حَمْلا فانحملَ، أغراه بِهِ. وحَمَلَ فلَانا، وتَحمَّل بِهِ وَعَلِيهِ، فِي الشَّفَاعَة وَالْحَاجة: اعْتمد[٣]. وَيُقَال: تَحَامَلْتُ، إِذَا تَكَلَّفْتَ الشَّيْءَ عَلَى مَشَقَّةٍ[٤]. وَحمَّالة: صيغة مبالغة من حاملة.

الْحَطَب: مَا أُعد من الشّجر لإيقاد النار[٥]. واحْتَطَب احْتِطَاباً، وحَطَبْتُ فُلَانَاً إِذا احْتَطَبْتَ لَهُ. وَيُقَال للَّذي يَحْتَطِب الحَطَبَ فيبِيعُه: حَطَّاب. ويُقَال: حَطَبَ فُلَانٌ بفُلَان إِذا سَعَى بِهِ. وَيُقَال للمُخَلِّط فِي كَلَامه أَو أَمْرِه: حاطِب ليل، مَعْنَاهُ: أَنه لَا يَتَفَقَّد كلامَه كالحاطب بِاللَّيْلِ الَّذِي يحطِبُ كُلَّ رَدِيء وجَيّد؛ لِأَنَّهُ لَا يُبْصِر مَا يَجْمَع فِي حَبْله. وقيل: شُبِّه الجانِي على نَفسه بِلِسَانِهِ بحاطب اللَّيْل؛ لِأَنَّهُ إِذا حطب لَيْلاً رُبمَا وقَعتْ يَدُه على أَفْعَى فَنَهَشَتْه، وَكَذَلِكَ الَّذِي لَا يَزُمُّ لِسانَه ويَهْجُو الناسَ ويذُمُّهم، رُبَّما كَانَ ذَلِك سَبَباً لِحَتْفه[٦].

ثم الحموي، أبو العباس، كتاب (الميم)، مادة (م ر ء)، (٥٦٩/٢).

(١) المعجم الوسيط، باب (الميم)، (٨٦٠/٢).

(٢) إصلاح المنطق، المؤلف: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، باب (فَعْلٍ، وفِعْلٍ، باختلاف المعنى)، (ص: ١١).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، حرف (الحاء)، (٣٦٧/٣).

(٤) مقاييس اللغة، كتاب (الحاء)، باب (الْحَاءِ وَالْمِيمِ وَمَا يَثْلِثُهُمَا)، مادة (حمل)، (١٠٦/٢).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، حرف (الحاء)، (٢٤٥/٣)، (بتصرف يسير).

(٦) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، أبواب (الحاء والطاء)، مادة (ح ط ب)، (٢٢٨/٤)، (بتصرف يسير).

ثانيا: القراءات:

قرأ الجماعة: (وامرأتُهُ)[١].

وقُرِئ: (وامراته) بألف بعد الراء؛ وذلك بناء على إبدال الهمزة ألفا، وهي لغة[٢].

وقُرِئَ: (وَمُرَيْتِئَتُهُ) بالتصغير والهمز[٣].

وقُرِئَ: (ومُرَيَّتُه) بالتصغير وإبدال الهمزة ياء وإدغام ياء التصغير فيها[٤].

وقُرِئ باختلاس حركة الهاء في (وامرأتُهُ) [٥].

وقُرِئ: (ومرأته)[٦]، وهي قراءة شاذة.

(١) معجم القراءات، (١٠/٦٣٠).

(٢) وهي قراءة شاذة. انظر: إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري، (م ٢/٧٥٦). دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز. ط/ عالم الكتب، بيروت – لبنان، الأولى، (١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م).

(٣) قرأ بها ابن مسعود –رضي الله عنه– وعباس. انظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/٥٦٧)، ومعجم القراءات (١٠/٦٣٠).

(٤) قرأ بها ابن مسعود –رضي الله عنه– وعباس. البحر المحيط في التفسير (١٠/٥٦٧)، ومعجم القراءات (١٠/٦٣٠).

(٥) قرأ بها العنبري عن أبي عمرو. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ١٨٢)، وانظر: معجم القراءات (١٠/٦٣١).

(٦) ونُسبت هذه القراءة إلى ابن مسعود –رضي الله عنه–. انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (١٠/٣٦٤)، (بتصرف يسير). الناشر: دار المرتضى، بيروت – لبنان، الأولى، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م).

وقُرِئ: {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} بنصب (حمَّالَةَ) [1]، من غير تنوين.

وقُرِئ: {حَمَّالَةُ الْحَطَبِ} برفع (حمَّالة)[2]، من غير تنوين[3].

فالحجة لمن رفع: أنه جعله خبر الابتداء[4]، أي: يكون قوله (وامرأتُهُ) مبتدأ، ويكون (حمَّالة) خبرًا، ويكون (في جيدها حبل من مسد) جملة في موضع الحال من المضمر في (حَمَّالة). أو خبرا ثانيا. أو يكون (حمالة الحطب) نعتا لامرأته[5]. والخبر (في جيدها حبل من مسد)، فيوقف –على هذا– على (ذات لهب). ويجوز أن يكون (وامرأته) معطوفة على المضمر في (سيصلى) فلا يوقف على (ذات لهب)، ويوقف على (وامرأته)، وتكون (حمالة الحطب) خبر ابتداء محذوف[6]، والتقدير: هي حمَّالة. ويجوز كون (حمَّالة) عطف بيان، أو كونُها بدلاً؛ لأنها قريبٌ مِنْ الجوامدِ؛ لِتَمَحُّضِ إضافتِها[7].

(١) قرأ بها: الْحَسَنُ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَالْأَعْرَجُ وَأَبُو حَيْوَةَ وَابْنُ أَبِي عَبْلَةَ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ وعيسى بن عمر وَعَاصِمٌ بخلاف عنه، وابن أبي إسحاق. انظر: البحر المحيط في التفسير (٥٦٧/١٠)، ومعجم القراءات (٦٣١/١٠).

(٢) المبسوط في القراءات العشر، (ص: ٤٨٠).

(٣) وبها قرأ باقي العشرة، وعاصم في رواية. انظر: المبسوط في القراءات العشر (ص: ٤٨٠)، ومعجم القراءات (٦٣١/١٠)، (بتصرف كثير).

(٤) الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، (ص: ٣٧٧). المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ .

(٥) وجاز ذلك؛ لأن الإضافةَ حقيقيةٌ؛ إذا المرادُ: المضيُّ. الدر المصون، (١٤٤/١١).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٢٤٠/٢٠).

(٧) الدر المصون، (١٤٤/١١)، (بتصرف يسير).

والحجة لمن نصب: أنه أراد: الذم. والعرب تنصب بالذم والمدح، والترحّم بإضمار "أعني"[(١)]. وقيل: نصب على الحالِ مِن «امرأتُه» إذا جَعَلْناها مرفوعةً بالعطفِ على الضَّميرِ. ويَضْعُفُ جَعْلُها حالاً عند الجمهور من الضميرِ في الجارِّ بعدها إذا جَعَلْناه خبراً لـ«امرأتُه»؛ لتقدُّمها على العاملِ المعنويِّ. واستشكل بعضُهم الحاليةَ؛ لِما تقدَّم من أنَّ المرادَ به المُضِيُّ، فيتعرَّفُ بالإضافةِ، فكيف يكونُ حالاً عند الجمهور؟ ثم أجابَ بأنَّ المرادَ الاستقبالُ؛ لأنَّه وَرَدَ في التفسير: أنها تحملُ يومَ القيامةِ حُزْمَةً مِنْ حَطَبِ النار، كما كانت تحملُ الحطبَ في الدنيا[(٢)].

وقُرِئ: (حمَّالةً للحطب) بالنصب وبالتنوين في (حمَّالةً)[(٣)]، وبلام الجر في (للحَطَب)[(٤)]، وهي قراءة شاذة.

(١) الحجة في القراءات السبع، (ص: ٣٧٧).

(٢) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، (١٤٥/١١). المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.

(٣) وقد وردت في قراءة ابن مسعود -رضي الله عنه-، على أنها نكرة منصوبة، وبها قرأ -أيضا- عياض. انظر: معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، (٢٩٩/٣)، (بتصرف يسير). المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الأولى، بدون تاريخ، وانظر: معجم القراءات (٦٣٢/١٠).

(٤) شواذ القراءات للكرماني، (ص: ٥٢٦)، ومعجم القراءات (٦٣٢/١٠).

وقُرِئ: (حمَّالةٌ للحطب) بالرفع وبالتنوين، وبلام الجر في (للحطب)[١]، وهي قراءة شاذة كسابقتها.

وقُرِئ: (حَامِلَة الحطب) بجعل الميم بعد الألف[٢]، فبعضهم يجر بالإضافة، وبعضهم ينوِّن الأول، وينصب الحطب به[٣]، وعلى كُلٍّ فهي قراءة شاذة.

ثالثا: الإعراب:

(وَامْرَأَتُهُ): الواو: حرف عطف. و(امرأة): معطوف على الضمير الفاعل في (يصلى)[٤]، وامرأة: مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه. ويجوز أن تكون الواو حرف استئناف[٥]، و(امرأته) مبتدأً، والخبر جملة: (حَمَّالَةُ الحَطَبِ)، وقوله: {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} إما خبر بعد خبر، أو حال، ويجوز أن يكون (حَمَّالَةُ الحَطَبِ) نعتًا لها، والخبر {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ}، ويجوز أن يرتفع {حَبْلٌ} بالظرف على المذهبين؛ لجريه حالًا على صاحبها، وهو (امرأتُهُ) على قول من رفعه بالعطف، أو المنوي في (حمالة) في من رفعه بالابتداء[٦].

(١) وقرأ بها ابن مسعود -رضي الله عنه-. انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٣٥)، (بتصرف يسير).

(٢) وبها قرأ أبو قلابة. انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٣٥)، (بتصرف يسير).

(٣) انظر: إعراب القراءات الشواذ للعكبري، (م٢/٧٥٧).

(٤) الجدول في إعراب القرآن، (٣٠/٤٢٢)

(٥) إعراب القرآن للدعاس، (٣/٤٧٥)، (بتصرف يسير).

(٦) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، (٦/٤٨٢-٤٨٣).

(حَمَّالةَ الحطب): قد تقَّدم ذكر القراءتين المتواترتين الواردة في: (حمَّالة)، والوجوه الإعرابية المحتملة فيها، بما أغني عن إعادته، وعلى كُلٍّ فإن (حمَّالة) مضاف، و(الْحَطَب) مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

وجملة: (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) إما أن تكون معطوفة على ما قبلها، وإما أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب[١]. وجملة (حمَّالةَ الحطب) اعتراضية لا محل لها من الإعراب؛ بناء على أن القطع للذم[٢].

رابعا: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها:

لما أخبر الله –سبحانه وتعالى– عن أبي لهب بكمال التباب، وكان أشق ما على الإنسان هتك ما يصونه من حريمه، حتى أنه يبذل نفسه دون ذلك لا سيما العرب، فإنه لا يدانيهم في ذلك أحد[٣]، أعقب ذم أبي لهب ووعيده بمثل ذلك لامرأته؛ لأنها كانت تشاركه في أذى النبي –صلى الله عليه وسلم– وتُعينه عليه[٤].

خامسا: التفسير والبيان:

المراد من قوله تعالى: (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)

(١) قيل: إنها كَانَت تحمل الشوك فتلقيه على طَرِيق النَّبِي –صلى الله عليه وسلم–؛ لتعقر رجله[٥].

(١) وهذا بناء على كون الواو في قوله تعالى: (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) للاستئناف. والله أعلم.

(٢) إعراب القرآن للدعاس، (٤٧٥/٣)، (بتصرف كثير).

(٣) نظم الدرر، (٣٤١/٢٢)، (بتصرف يسير).

(٤) التحرير والتنوير (٦٠٥/٣٠).

(٥) تفسير السمعاني لأبى المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي

(٢) قيل: كانت تمشي بالنميمة[١]؛ فتحملهم بالنميمة على معاداة النبي -صلى الله عليه وسلم-. والعلة في تشبيههم النميمة بالحطب هي: أن الحطب يوقد ويضرم، كذلك النميمة، كما أن الحطب يصير نارا، والنار سبب التفريق، فكذلك النميمة[٢].

(٣) قيل: إنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين، يقال: فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به[٣].

(٤) وقيل: كانت تعيّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالفقر، وكانت تحتطب، فعيّرت بذلك، وهذا قول غير قوي؛ لأن الله -سبحانه- وصفهم بالمال والولد، وحمل الحطب ليس بعيب[٤].

(٥) وقيل: المعنى حمالة الحطب في النار، وفيه بُعد[٥].

(٦) وقيل: حمالة الخطايا. ودليله قوله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، وقول العرب: فلان يحطب على ظهره إذا أساء، وفلان حاطب قريته إذا كان الجاني فيهم، وفلان محطوب عليه إذا كان مجنيا عليه[٦].

والذي تميل إليه النفس هو قول من قال: إنها كانت تحمل الشوك، فتطرحه

السمعاني التميمي، (٦/٣٠٠)، (بتصرف يسير).
(١) الكشف والبيان، (١٠/٣٢٦).
(٢) المرجع السابق، (١٠/٣٢٧-٣٢٨)، (بتصرف يسير).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، (٢/٥٢١)، (بتصرف يسير).
(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (١٠/٣٢٦-٣٢٧).
(٥) تفسير القرطبي، (٢٠/٢٤٠).
(٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (١٠/٣٢٧).

في طريق رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؛ لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك[١].

وهذا القول تؤيده القاعدة التي تقول: إذا دار اللفظ بين الحقيقة والمجاز، فإنّ الحقيقة أولى أن يُحمل عليها اللفظ عند الأصوليين[٢]، وذلك إذا لم يكن هناك تعذُّر في حمل الكلام على الحقيقة، فإن تعذّر حُمِل على المجاز، ولا تعذُّر هاهنا في حمل الكلام على الحقيقة.

سادسا: بعض الأوجه البلاغية التي اشتملت عليها الآية الكريمة:

(١) إيثار استفتاح الآية الكريمة بمفردة (امرأته) دون (زوجه)؛ لأن العلاقة الزوجية قائمة على غير دين صحيح[٣].

(٢) الإتيان بصيغة المبالغة (حمَّالة)؛ للإشارة إلى مزيد اعتنائها واهتمامها بذلك الفعل، وأنها قد اتخذته رسالة حياتها، فهي ذات انشغال به، واعتناء، ولا تمل من القيام بحقه عليها، وفي هذا من الإبلاغ في بيان فساد حالها، وأنها غير مؤهلة لفعل الخير، فهي مشاركةٌ أبا لهب في صناعة الشر، إن لم تكن هي حاملة أبي لهب على هذا النهج في صناعة الشر والترويج له[٤].

(١) جامع البيان، (٢٤/٦٨٠).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/١٩)، (بتصرف كثير)

(٣) ولمزيد من التفصيل حول هذا السر التعبيري بمفردة (امرأته) ينظر: دراسات جديدة في إعجاز القرآن، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، (ص: ١٦٠–١٦٧)، (بتصرف كثير).

(٤) أسرار البلاغة القرآنية في سورة (تبّت يدا أبي لهب)، (ص: ١٠٤)، (بتصرف يسير).

(٣) الاستعارة[١]: في قوله تعالى «وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ»، يقال لمن يمشي بالنميمة: يحمل الحطب بين الناس، أي: يوقد بينهم التباعد، ويورث الشر، فالحطب مستعار للنميمة، وهي استعارة مشهورة[٢].

(٤) النصب على الشتم والذم: {وامرأته حَمَّالَةَ الحطب}، أي: أخص بالذم حمالة الحطب[٣]. وقيل: إنَّها معَ كثرةِ مالِها كانتْ تحملُ الحطبَ على ظهرِهَا؛ لشدةِ بُخْلها؛ فعيرتْ بالبخلِ[٤].

(٥) توافق الفواصل في الأربع آيات الأولى؛ مراعاة لرؤوس الآيات، وهو

(١) الاستعارة هي: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. (والاستعارة) ليست إلّا (تشبيهاً) مختصراً، لكنها أبلغ منه، كقولك: رأيت اسداً في المدرسة، فأصل هذه الاستعارة: (رأيت رجلا شجاعاً كالأسد في المدرسة)، فحذفت المشبه لفظ (رجل)، وحذفت الأداة (الكاف)، وحذفت وجه التشبيه (الشجاعة)، وألحقته بقرينة (المدرسة)؛ لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعاً. فأصل الاستعارة: تشبيه حذف أحد طرفيه، ووجه شبهه، وأداته – ولكنها أبلغ منه، لان التشبيه مهما تناهى في المبالغة، فلا بد فيه من ذكر المشبه، والمشبه به وهذا اعتراف بتباينهما، وان العلاقة ليس إلا التشابه والتداني، فلا تصل إلى حد الاتحاد بخلاف الاستعارة، ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وأن المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا، يصدق عليهما لفظ واحد – فالاستعارة (مجاز لغوي)، لا عقلي. جواهر البلاغة، (ص: ٢٥٨).

(٢) الجدول في إعراب القرآن، (٤٢٢/٣٠).

(٣) صفوة التفاسير ، (٥٩٣/٣).

(٤) إرشاد العقل السليم، (٢١١/٩)، (بتصرف يسير).

من المحسنات البديعية[١].

سابعا: ما يؤخذ من الآية الكريمة:

(١) أن امرأة أبي لهب قد تأثّرت بزوجها في مناوءة الدِّين، ومعاداة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وإيذائه، ويُفهم من هذا أن المرأة قد تتأثّر بزوجها صلاحًا وفسادا؛ لهذا رغَّبت الشريعة الإسلامية في اختيار الزوج الصالح، والمرأة الصالحة.

(٢) أن من شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق؛ لأنه تعالى عَدَّ ضده من خصال الكفار[٢].

المطلب الخامس

بيان المصير المهين لامرأة أبي لهب

قال الله –تعالى–: (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) (٥)

أولا: اللغة:

الْجِيد: الْعُنُق، وَقيل: مقلده. وَقيل: مقدمه، وَقد غلب على عنق الْمَرْأَة[٣]. ويُقال: رجل أجيد وَامْرَأَة جيداء حَسَنَة الْجيد إِذا كَانَت طَوِيلَة الْعُنُق[٤]. والجِيدُ:

(١) صفوة التفاسير ، (٥٩٣/٣)، (بتصرف يسير).

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ص: ٣٠١).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، حرف (الجيم)، (٥٠٢/٧).

(٤) جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، كتاب (الميم)، باب (الْجِيم والذال مَعَ مَا يليهما من الْحُرُوف فِي الثلاثي الصَّحِيح)، (٤٥٣/١).

أَيضاً: المِدْرَعَةُ[1] الصَّغِيرةُ[2].

الْحَبْل: الْحَاءُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِدَادِ الشَّيْءِ. ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ، وَمَرْجِعُ الْفُرُوعِ مُرْجِعٌ وَاحِدٌ. فَالْحَبْلُ: الرَّسَنُ[3]، وَالْجَمْعُ حِبَالٌ. وَالْحَبْلُ: حَبِلُ الْعَاتِقِ. وَالْحَبْلُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الرَّمْلِ يَسْتَطِيلُ. وَالْمَحْمُولُ عَلَيْهِ الْحَبْلُ، وَهُوَ الْعَهْدُ. وَيُقَالُ لِلْوَاقِفِ مَكَانَهُ لَا يَفِرُّ: "حَبِيلُ بَرَاحٍ"، كَأَنَّهُ مَحْبُولٌ، أَيْ: قَدْ شُدَّ بِالْحِبَالِ[4].

الْمَسَد: حَبْلٌ من لِيفٍ أو خُوصٍ أو شَعَرٍ أوْ وَبَرٍ أو من جُلودٍ أو من أيِّ شيءٍ كان. وقيل: هذا مخصوص بالْحَبْل من اللِّيف. وقيل: هو الحَبْلُ الْمَضْفُورُ المُحْكَمُ الفَتْلِ من جميع ذلك[5]. والمَسَدُ: المِحْوَرُ يكون من الحَدِيدِ(٦). والمسد: الليف، ورجل ممسود، أي: مجدولُ الخَلْقِ[7]. وامرأة ممسودة: ممشوقة[8].

ثانيا: القراءات:

(١) ثوب من صوف خاصة. تاج العروس، باب (العين)، فصل (الدال)، مادة (درع)، (١٠٨/١١).

(٢) تاج العروس، باب (الدال)، فصل (الجيم)، مادة (جيد)، (٤٠٩/٤).

(٣) الرَّسَنُ: مَا كَانَ من الأزمة على الْأنف. المعجم الوسيط، باب (الراء)، (٣٤٥/١).

(٤) مقاييس اللغة، باب (الْحَاءِ وَالْأَلِفِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا فِي الثُّلَاثِيِّ)، مادة (حبل)، (١٣٠/٢-١٣١).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، حرف (السين)، (٤٦٤/٨)، (بتصرف يسير).

(٦) تاج العروس، باب (الدال)، فصل (الميم)، مادة (مسد)، (٢٥٤/٥).

(٧) الصحاح، باب (الدال)، فصل (الميم)، مادة (مسد)، (٥٣٩/٢).

(٨) أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، كتاب (الميم)، مادة (م س د)، (٢١٣/٢).

قرأ الجمهور: (في جِيْدِهَا) بلا إمالة. ورُوي عن الكسائي: (في جِيْدِهِا) بإمالة فتحة الهاء والألف بعدها إمالة لطيفة[١]. وقرأ العامة: (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ). وعن ابن مسعود –رضي الله عنه–: حبل من ليف[٢]. وهي قراءة شاذة.

ثالثا: الإعراب:

قال الله –تعالى–: (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)

(في): حرف جر مبني على السكون.

(جِيْدِهَا): جِيْد: اسم مجرور بـ(في)، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، و(جِيْد) مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه، والألف للتأنيث.

ويجوز أن يكون قوله: (فِي جِيدِهَا) خبرًا ثانيا لقوله: (وامرأتُه)، ويكون قوله: (حَبْلٌ) فاعلا. ويجوز أن يكون قوله: (فِي جِيدِهَا) حالاً مِنْ «امرأتُه»، ويكون (حَبْلٌ) فاعلا.

ويجوز كون شبه الجملة (فِي جِيدِهَا) في محل رفع خبر مقدم.

و(حَبْلٌ): مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره. والجملةُ حاليةٌ، أو خبر ثانٍ[٣].

(مِنْ مَسَدٍ): (مِنْ): حرف جر مبني على السكون. و(مَسَدٍ): اسم مجرور بـ(مِن) وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور في محل رفع نعت لـ(حبل)[٤].

(١) جامع البيان في القراءات السبع، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، (١٧٣١/٤).

(٢) شواذ القراءات للكرماني، (ص: ٥٢٦).

(٣) الدر المصون، (١٤٦/١١)، (بتصرف كثير).

(٤) الجدول في إعراب القرآن، (٤٢٢/٣٠)، (بتصرف كثير).

وجملة: (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) مستأنفة استئنافا بيانيا لا محل لها من الإعراب[١].

والأفضل: أن تكون وصفًا لقوله تعالى: (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ). والله أعلم.

رابعا: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها:

لَمَّا بيَّن الله –تعالى– في الآية السابقة ما كانت تفعله امرأة أبي لهب من إيذاء للنبي –صلى الله عليه وسلم–؛ بيَّن في هذه الآية العقوبة المهينة التي تنتظرها؛ جزاء وفاقا لما قدمته يداها[٢].

خامسا: التفسير والبيان:

وقع الاختلاف في المراد من قول الله –سبحانه وتعالى–: (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥) على أقوال:

(١) أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا، وفي ذلك تحقير لها، وإظهار لخساسة حالها. في جيدها حبل مما مسد من الحبال؛ لأنها كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون، والمقصود: بيان خساستها، تشبيها لها بالحطابات إيذاء لها ولزوجها[٣]. وقيل بناء على ذلك: إنها حبال من شجر تنبت في اليمن لها مسد، وكانت تفتل. وقد قيل: هو حبل من شجر، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به، وقيل: هي حبال بمكة، وقيل: المَسَد: العصا التي تكون في البكرة. وقيل: المسد: الليف[٤].

(١) الجدول في إعراب القرآن، (٤٢٢/٣٠)، (بتصرف كثير).

(٢) هذه المناسبة من فتح الله –تعالى– عليَّ، وهي تتماشى مع سياق الآيات الكريمة.

(٣) مفاتيح الغيب (٣٥٥/٣٢).

(٤) جامع البيان، (٦٨٠/٢٤-٦٨١)، (بتصرف).

(٢) أنه حالها في جهنم يكون كذلك، أي: يكون في عنقها حبل من نار، كانت لها قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللات والعزى لأنفقنها في عداوة محمد. ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة[١]. وقيل: المسد: سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعا، وقيل: غير ذلك[٢].

(٣) وزعم بعضهم أن الكلام يحتمل أن يكون دعاء عليها بالخنق بالحبل، وهو من الذهن مناط الثريا. نعم ذكر أنها ماتت يوم ماتت مخنوقة بحبل حملت به حزمة حطب، لكن هذا لا يستدعي حمل ما ذكر على الدعاء هذا[٣].

المناقشة والترجيح

(٤) وبعد عرض الأقوال الواردة في المراد من قول الله -سبحانه وتعالى-: (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)، يترجَّح أنها كلها محتملة ومقبولة[٤]؛ فلا تعارض بينها؛ ولذلك قال الإمام الطبري "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو حبل جُمع من أنواع مختلفة، وكذلك المسد الذي في جيد امرأة أبي لهب، أُمِرَّ من أشياء شتى، من ليف وحديد

(١) تفسير القرطبي (٢٠/٢٤١-٢٤٢)، (بتصرف)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٥٢٢)، (بتصرف).

(٢) جامع البيان، (٢٤/٦٨١).

(٣) روح المعاني، (١٥/٥٠١).

(٤) إلا القول الذي ذكره الإمام الألوسي، وضعَّفه بقوله: "وزعم بعضهم أن الكلام يحتمل أن يكون دعاء عليها بالخنق بالحبل، وهو من الذهن مناط الثريا. نعم ذكر أنها ماتت يوم ماتت مخنوقة بحبل حملت به حزمة حطب، لكن هذا لا يستدعي حمل ما ذكر على الدعاء هذا. روح المعاني، (١٥/٥٠١).

ولحاء، وجعل في عنقها طوقا كالقلادة من ودع" [١].

وهذا الترجيح تؤيده القواعد الآتية:

(١) إعمال القولين أولى من إهمال أحدهما والعمل بالآخر؛ فلا يصار إلى الترجيح إلا إذا تعذّر الجمع بين الأقوال، ولا تعذُّر هاهنا [٢].

(٢) تقديم العمومي على الخصوصي؛ فإنّ العمومي أولى؛ لأنه الأصل، إلّا أن يدل دليل على التخصيص[٣]، ولا دليل هنا على التخصيص. والله أعلم.

سادسًا: بعض الأوجه البلاغية التي اشتملت عليها الآية الكريمة:

(١) في قوله: «في جيدها حبل من مسد» فن التهكم، فقد صوّرها تصويرا فيه منتهى الخسّة والقماءة؛ لتمتعض[٤] من ذلك ويمتعض زوجها= وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة[٥]؛ فأوثر التعبير بالْجِيد هنا بدلا من العُنُق- وفي هذا من التهكم ما فيه-، فقال تعالى: (فِي جِيدِهَا)، وَلَمْ يَقُلْ: (فِي عُنُقِهَا)، وَالْمَعْرُوفُ أَنْ يُذْكَرَ الْعُنُقَ

(١) جامع البيان، (٢٤/٦٨٢-٦٨٣)، (بتصرف).

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي)) لتقي الدين أبى الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي، وولده تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب ، (٣/٢١٠-٢١١)، (بتصرف كثير).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/١٩).

(٤) يقال: مَعِضْتُ من ذلك الأمرِ أَمعضُ معضًا، وامتعضتُ منه، إذا غضبتَ وشقَّ عليك. فتوح الغيب (١٦/٦٣٠).

(٥) إعراب القرآن وبيانه، (١٠/٦١٢)، (بتصرف كثير).

إِذَا ذُكِرَ الْغُلّ، أَوْ الصّفْعُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا} [يس: ٨]، وَيُذْكَرُ الْجِيدُ إذَا ذُكِرَ الْحُلِيّ أَوْ الْحُسْنُ، فَإِنّمَا حَسُنَ هَهُنَا ذِكْرُ الْجِيدِ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ؛ لِأَنّهَا امْرَأَةٌ، وَالنّسَاءُ تُحَلّي أَجِيَادَهُنّ، وَأُمّ جَمِيلٍ لَا حُلِيّ لَهَا فِي الْآخِرَةِ إلّا الْحَبْلُ الْمَجْعُولُ فِي عُنُقِهَا، فَلَمّا أُقِيمَ لَهَا ذَلِكَ مَقَامَ الْحُلِيّ ذُكِرَ الْجِيدَ مَعَهُ[١].

(٢) الإتيان بكلمة (مَسَد) صفة لموصوف محذوف، أي: حبل من حديد ممسود[٢]، وهو وصف بالمصدر، كقولنا: عمر عدلٌ، إبلاغا في كماله في الصفة، وكمال الصفة فيه[٣].

سابعا: ما يؤخذ من الآية الكريمة:

(١) أن الجزاء من جنس العمل.

(٢) لما أعانت امرأة أبي لهب زوجها على الكفر والإيذاء= نالت ما ناله من العذاب الشديد.

(٣) في هذه السورة الكريمة –باعتبار هذه الآية الكريمة خاتمتها– معجزة ظاهرة، ودليل واضح على النبوة؛ فإنه منذ نزل قوله تعالى: {سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد} فأخبر

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، (١٨٥/٣).

(٢) وقيل: إن هذا الحبل عبارة عن سلسلة من حديد في النار، طولها سبعون ذراعًا؛ فهو إذًا الوارد في قوله تعالى: (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) (الحاقة: ٣٢). انظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (٤١٧/٢٤)، (بتصرف كثير).

(٣) أسرار البلاغة القرآنية في سورة (تبّت يدا أبي لهب)، (ص: ١١٥)، (بتصرف يسير).

عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما، لا ظاهرا ولا باطنا، لا مسرا ولا معلنا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة[1].

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٥١٧)، (بتصرف كثير).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– الذي أُوتي خير الآيات والمعجزات.

وبعد؛

فقد عشت في ظلال هذه السورة الكريمة فترة مباركة، أنهل من معينها الذي لا ينضب، وأغوص فيها؛ لاستخراج دُرَرها وجواهرها –بقدر طاقتي البشرية– من خلال التفسير التحليلي لها، وتوصَّلت إلى أهم النتائج التي أُقَدِّمها في خاتمة هذه الدراسة، وهي:

(١) دفاع الله عن رسوله –صلى الله عليه وسلم–؛ ونصره له على أعدائه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) [غافر: ٥١].

(٢) أن حُسن الصورة وكثرة الأموال والأولاد لا تغني عن الإيمان والعمل الصالح؛ حيث لَمْ يُغْنِ عن أبي لهب جمال صورته ولا مالُه ولا ولده شيئا، مع كفره، وأعماله السيئة.

(٣) بيان خطورة الكلمة، وأنها تودي بصاحبها إلى الهاوية= كما حدث لأبي لهب.

(٤) لما أعانت امرأة أبي لهب زوجها على الكفر والإيذاء= نالت ما ناله من العذاب الشديد.

(٥) ليست كل قرابة نافعة، فقد يكون القريب أشد الناس إيذاء للإنسان= كما كان أبو لهب.

(٦) أجمع العلماء على أن تسمية السورة باسم واحد تُعرف به توقيفية من النبي –صلى الله عليه وسلم–.

(٧) أننا لا نقول بالتوقيف في مسألة تعدد الأسماء للسورة الواحدة= إلا فيما ثبت فيه التوقيف، أما إذا لم يرد توقيف فنقول فيه –على أقل تقدير– بالتوقف.

(٨) أن الله –سبحانه وتعالى– قيَّض للأمة الإسلامية علماء أجلاء، وألهمهم الكتابة في الدخيل في التفسير بالمأثور، والدخيل في التفسير بالرأي؛ في محاولة جادة لتنقية كتب التراث مما شابها.

(٩) أن ما يُنسب لابن مسعود –رضي الله عنه– من قراءات شاذة هي نسبة فيها نظر، والذي ينبغي أن يقال: إنها تفسير لما ورد في القرآن الكريم، إن صحَّ ذلك عنه.

(١٠) أن من أبطأ به عمله، لم يُسرع به نسبه.

(١١) أن الجزاء من جنس العمل.

والحمد لله في البدء والختام، وصلَّى الله علي سيدنا محمد، وعلي آله وصحبه وسلَّم.

فهرس المصادر والمراجع

(١) الإبانة عن معاني القراءات، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي. المحقق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بدون تاريخ.

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي)) لتقي الدين أبى الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي، وولده تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب. ط/ دار الكتب العلمية –بيروت، (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء. المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ .

(٤) أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي. راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود محمد بن محمد العمادي،. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

(٦) أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الأولى، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) .

(٧) أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي. المحقق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ .

(٨) أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي. المحقق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

(٩) أسرار البلاغة القرآنية في سورة (تبّت يدا أبي لهب)، المؤلف: أ.د/ محمود توفيق محمد سعد. ط/ مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، (١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م).

(١٠) أسرار ترتيب القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

(١١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة. الناشر: مكتبة السنة، الطبعة: الرابعة، بدون تاريخ.

(١٢) أسماء سور القرآن، عبد الله الهنائي. ط/ مطبعة عُمان ومكتبتها المحدودة، مسقط، الأولى، ٢٠٠٥ م.

(١٣) الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ .

(١٤) إصلاح المنطق، المؤلف: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. المحقق: محمد مرعب، ط/ دار إحياء التراث العربي، الأولى، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) .

(١٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

(١٦) إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري. دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز. ط/ عالم الكتب، بيروت – لبنان، الأولى، (١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م).

(١٧) إعراب القرآن الكريم، المؤلف: أحمد عبيد الدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم. الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ .

(١٨) إعراب القرآن للأصبهاني، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة. قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، الناشر: (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

(١٩) إعراب القرآن وبيانه، المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش. الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ .

(٢٠) الإكليل في استنباط التنزيل، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

(٢١) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي. تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، الناشر: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م.

(٢٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

(٢٣) البرهان في تناسب سور القرآن، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر. تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

(٢٤) البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

(٢٥) بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، إعداد/ بهجت عبد الواحد الشيخلي. ط/ مكتبة دنديس، عمان – الأردن، الأولى، (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).

(٢٦) البيان في عدّ آي القرآن، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني. المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م .

(٢٧) تاج العروس من جواهر القاموس. ط/ دار الفكر – بيروت، الأولى، (١٤١٤)هـ.

(٢٨) التحبير في علم التفسير للحافظ السيوطي. حققه وقدم له ووضع فهارسه: د. فتحي عبد القادر فريد، ط/ دار العلوم – الرياض – المملكة العربية السعودية، الأولى، (١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م).

(٢٩) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب

المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م .

(٣٠) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المؤلف: الشيخ/ حسن المصطفوي. مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، الطبعة الأولى، (١٣٩٣) هـ .

(٣١) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي. المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

(٣٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة، بدون تاريخ.

(٣٣) التسهيل لعلوم التنزيل أو تفسير ابن جزى لأبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبى الغرناطي. تحقيق: د. عبد الله الخالدي، ط/ شركة دار الأرقم بن أبى الأرقم – بيروت، الأولى، (١٤١٦) هـ .

(٣٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي. المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ .

(٣٥) التفسير التحليلي لسورة النساء، المؤلف: أ.د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة. ط/ مطبعة الفجر الجديدة، منشية ناصر بالدَّرَّاسة، الطبعة الأولى، (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م).

(٣٦) تفسير السمعاني لأبى المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم. ط/ دار الوطن، الرياض – السعودية، الأولى، (١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م) .

(٣٧) تفسير القرآن العزيز لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي. تحقيق: أبى عبد الله حسين بن

عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، ط/ الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الأولى، (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م).

(٣٨) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم. المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ .

(٣٩) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

(٤٠) التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب. الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، بدون تاريخ.

(٤١) تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، بدون تاريخ.

(٤٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي. الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

(٤٣) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي. حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

(٤٤) التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي. الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ .

(٤٥) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة/ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي. إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

(٤٦) تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي. دراسة وتحقيق/ عبد القادر أحمد عطا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م).

(٤٧) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى، (٢٠٠١) م.

(٤٨) الجاسوس على القاموس، المؤلف: أحمد فارس فارس بن يوسف بن منصور الشدياق. الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية، عام النشر: ١٢٩٩ هـ .

(٤٩) جامع البيان في القراءات السبع، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني. الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

(٥٠) جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري. المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

(٥١) جامع الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

(٥٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق.

(٥٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد

بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

(٥٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي. الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.

(٥٥) جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. المحقق: رمزي منير بعلبكي. الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

(٥٦) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي. ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ط/ المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

(٥٧) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي. ط/ دار صادر – بيروت – لبنان، بدون تاريخ.

(٥٨) الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله. المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ .

(٥٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي. المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.

(٦٠) دراسات جديدة في إعجاز القرآن، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. ط/ مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).

(٦١) دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها، المؤلف: د/ عمر على حسان عرفات. ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م).

(٦٢) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي. المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر:

دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
(٦٣) سنن أبي داوود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: شعَيب الأرناؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
(٦٤) السنن الصغير للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
(٦٥) شواذ القراءات، المؤلف: رضي الدين شمس القراء أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني. تحقيق: د/ شمران العجلي، ط/ مؤسسة البلاغ، بيروت – لبنان، بدون تاريخ.
(٦٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط/ دار العلم للملايين – بيروت، الرابعة (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م).
(٦٧) صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني. الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .
(٦٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.
(٦٩) العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط/ دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.
(٧٠) فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي. عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

(٧١) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي. المحقق: أحمد مجتبى، الناشر: دار العاصمة – الرياض، بدون تاريخ.

(٧٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبي علي الكشاف لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي. تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، ط/ وحدة البحوث والدراسات، دبى– الإمارات العربية المتحدة، الأولى، (١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م).

(٧٣) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي. الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، بدون تاريخ.

(٧٤) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله. الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ –١٩٤١م)

(٧٥) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المؤلف: المنتجب الهمذاني. حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

الجنى الداني في حروف المعاني، المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي. المحقق: د. فخر الدين قباوة –الأستاذ/ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

(٧٦) الكتاب، المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسيبويه. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ مكتبة الخانجي، القاهرة، الثالثة، (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).

(٧٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه/ خليل مأمون شيحا، ط/ دار المعرفة – بيروت – لبنان، الثالثة، (١٤٣٠

هـ – ٢٠٠٩ م).

(٧٨) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

(٧٩) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبى الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، فصل (الميم)، مادة (مول)، (٦٣٦/١١). ط/ دار صادر – بيروت، الثالثة – (١٤١٤) هـ .

(٨٠) المبسوط في القراءات العشر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر. تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق، عام النشر: ١٩٨١ م .

(٨١) مجمع البيان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. الناشر: دار المرتضى، بيروت – لبنان، الأولى، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م).

(٨٢) مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين. دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

(٨٣) محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي. المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

(٨٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ

(٨٥) المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، (١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م).

(٨٦) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه. مكتبة المتنبي – القاهرة،

بدون تاريخ.
(٨٧) المدخل لدراسة القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، (ص: ٣٢١). الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .
(٨٨) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م.
(٨٩) مسند أبي داوود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
(٩٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
(٩١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.
(٩٢) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْنَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي. دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .
(٩٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس. الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، بدون تاريخ.
(٩٤) معانى القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي المعروف بالفراء. المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل

الشلبي، ط/ دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الأولى، بدون تاريخ.
(٩٥) معانى القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبى إسحاق الزجاج. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط/ عالم الكتب – بيروت، الأولى، (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).
(٩٦) معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء. المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الأولى، بدون تاريخ.
(٩٧) معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ .
(٩٨) معجم القراءات، المؤلف: د/ عبد اللطيف الخطيب. ط/ دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٠ م.
(٩٩) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار). الناشر: دار الدعوة، بدون تاريخ.
(١٠٠) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبى الحسين المعروف بابن فارس. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، (١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م) .
(١٠١) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح. المحقق: نور الدين عتر. الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
(١٠٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .
(١٠٣) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب

الأصفهاني. المحقق: صفوان عدنان الداودي دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الأولى، (١٤١٢) هـ .

(١٠٤) المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه / موجز في ياءات الإضافة بالسور، المؤلف: عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشَّار الشافعي المصري. المحقق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

(١٠٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني. الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة، بدون تاريخ.

(١٠٦) منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي. اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(١٠٧) الميزان في تفسير القرآن، المؤلف: السيد محمد حسين الطباطبائي. منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، في قم المقدسة، بدون تاريخ.

(١٠٨) الناسخ والمنسوخ – وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، المؤلف: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي. المحقق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

(١٠٩) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية – بيروت، (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

(١١٠) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. الناشر: جامعة أم القرى –

كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة)، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م.

(١١١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معانى القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لأبى محمد مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الأولى، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) .

(١١٢) الواضح في علوم القرآن، المؤلف: مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو. الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	
ملخص البحث	
المقدمة	
المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة	
المطلب الأول: أسماء السورة.	
المطلب الثاني: نوع السورة.	
المطلب الثالث: عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها.	
المطلب الرابع: ترتيب السورة.	
المطلب الخامس: سبب نزول السورة.	
المطلب السادس: فضائل السورة.	
المطلب السابع: المناسبات المتعلقة بالسورة.	
المطلب الثامن: موضوعات السورة ومقاصدها.	
المبحث الثاني: الدراسة التحليلية للسورة الكريمة	
المطلب الأول: تهديد أبي لهب على الجفاء والإعراض.	
المطلب الثاني: ضياع كسب أبي لهب وأمره.	
المطلب الثالث: بيان العاقبة السيئة لأبي لهب.	
المطلب الرابع: ذم امرأة أبي لهب.	
المطلب الخامس: بيان المصير المهين لامرأة أبي لهب.	
الخاتمة	
فهرس المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	